د. فرانسيس دينق

ذكريات بابو نمر

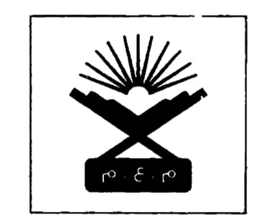






د. فرانسيس دينق

ذكريات بابو نمر



مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي

2019

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان

818.03 فرانسيس دينق مارينق، -1938

ف. ذ

ذكريات بابو نمر / فرانسيس دينق مارينق.- أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2018،

236 ص، 21سم.

ردمك:1-43-63-99942-978

1. بابو نمر، 2. الإدارة المحلية - السودان، أ. العنوان.

Third Published in january 2019

أم درمان السُّودان

الطَّبعة الثالثة يناير 2019 م



الإخراج الفنّي / معمر مكي عمر

ذكـريات
بابو نمر

محتويات الكتاب


DAWAYA
SUDANESE BOOKS

إهداء

إلى ابني...

دڤيد كوال

عن الكتاب والمؤلف

(هذا الكتاب جانب من جهد شخص للاستماع إلى كباره، بحثاً عن المعرفة والتعلم من تجاربهم بأمل أن يدفع بالتلاحم والتفاعل بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا إلى الأمام).

يحتوي النص العربي وترجمته على ثلاث مقابلات أجراها المؤلف مع الناظر بابو نمر، ناظر عموم المسيرية في جنوب كردفان، واحدة عن والد المؤلف المرحوم الناظر دينق ماجوك، ناظر عموم الدينكا نقوك في جنوب كردفان. والمقابلة الثالثة عن البريطانيين في السودان. وهي عبارة عن نظرة في جوانب العلاقات الشخصية المتداخلة في التجربة الاستعمارية.

ولد الدكتور دينق في أبيي بجنوب كردفان عام 1938، وتلقى تعليمه في جنوب وشمال السودان... حيث أكمل تعليمه الثانوي في خور طقت، ونال ليسانس القانون بمرتبة الشرف في جامعة الخرطوم عام 1962.. ثم واصل دراساته العليا بإنجلترا والولايات المتحدة، حيث نال الدكتوراه في القوانين في جامعة ييل في العام 1967.

وعمل لمدة خمس سنوات بقسم حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة بنيو يورك، وعمل أيضاً خلال هذه الفترة كأستاد للأنثروبولوجي والقانون في جامعة نيويورك، القانون الإفريقي في جامعة كولومبيا. كما أكمل بحثاً فوق درجة الدكتوراة في نطاق برنامج جامعة ييل عن القانون والتحديث. بعدها التحق بالخدمة الخارجية وذلك في عام 1972. وقد عمل منذ ذلك الحين سفيراً لبلاده في الدول الأسكندنافية والولايات المتحدة الأمريكية. ثم عين وزير دولة بوزارة الخارجية. وهو الآن سفير لبلاده في كندا.

للدكتور دينق مؤلفات أخرى منها: (التقليد والتحديث)، (الدينكا في السودان)، (ديناميكية التعريف الذاتي)، (أغاني الدينكا)، (حكايات الدينكا)، (أفارقة عالمين)، (كوزمالوجية الدينكا).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة - 1

أهمية هذا السفر وتقدير فرانسيس المشهود فهو من أصحاب العطاء الفكري والثقافي والسياسي النير في حد ذاته والمتطور مع ظروف البلاد.

في هذه الذكريات قد استطاع أن يرفد أدب السيرة لأعلام الوطن بما سجل من سيرة الناظر بابو رحمه الله.

يسجل للناظر بابو سبعة وجوه من عطائه.

أولاً: زعامته لإحدى أهم قبائل السودان وإدارة شؤونها بالكفاءة والحكمة.

ثانياً: دوره في تحويل تعاهد ثنائي بينه وبين زعيم الدينكا نقوك إلى تمازج قبيلتين مهمتين شمالية وجنوبية.

ثالثاً: سيرته الإدارية التي وظفت الأعراف والتقاليد القبلية في المجالات الأمنية والإدارية ودبلوماسية التعايش بين القبائل المتجاورة.

رابعاً: بيان دوره في تطوّر الحركة السياسية السودانية لا سيما الحركة الاستقلالية عبر التطورات الدستورية إلى أن أجيز قانون الحكم الذاتي ثم المشاركة في تفاهم القوى الاستقلالية مع مصر بعد أن سلمت بحق تقرير المصير للسودان.

خامساً: قراءته الموضوعية لعطاء الإدارة البريطانية في السودان ومع قسوة الاحتلال تقدير الإنسانيات البريطانية.

سادساً: كشف استعلاء بعض الجماعات السودانية المثقفة على مواطنيهم في الأرياف والبوادي.

سابعاً: كشف حقيقة أن مسألة أبيي لو أديرت بإيجابية العلاقات القبلية بين الجارين القبليين لتجنب الوطن حماقة الأجندات الفوقية.

بالإضافة لما لهذه الذكريات من قيمة في بيان المحطات المهمة المذكورة في حياة طيب الذكر الناظر بابو فهناك قضايا عامة ينبغي ذكرها هي:

أولاً: دور الشعارات الفكرية والسياسية المعزولة عن الواقع الاجتماعي مثل شعار تصفية الإدارة الأهلية الأبله. لقد تطوّر الحكم المحلي في السودان وكذلك الجهاز القضائي وتطور الوعي بحقوق الإنسان. هذه التطورات تتطلب تطوير لا تصفية الإدارة الأهلية وعندما طبق هذا الشعار أدى لفراغات كبيرة دفع المواطنون في الأرياف والبوادي ثمنها.

ثانياً: هنالك مدارس إقصائية عروبية، وإسلاموية، و إفريقانوية طرحت بصورة مزقت النسيج الاجتماعي.. الشعار الإسلاموي العروبي الاقصائي الذى برز في المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي عام 1992م كان له اسوأ الأثر التفكيكي في السودان. ساهم معه في التفكيك النهج الإفريقاني الذي غذته مدرسة من شرق إفريقيا تصنف العرب في السودان كمحتلين وتعمل على

بناء سودان نقيض. هذه الشعارات هي التي فصمت عرى التمازج حيثما كانت وجعلت السودان ميداناً للمواجهات الإثنية.

الشعارات العروبية، والإسلاموية، و الإفريقانوية هي في حقيقتها مشروعات تفكيك للسودان. قضايا تطرقت لها في كتابي "الهوية السودانية بين التسبيك والتفكيك".

إن لكفالة وحدة السودان استحقاقات تتطلب الوعي بقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ).

معنى قرآني عبرت عنه الشاعرة السودانية:

أنـا الـعـروبـة في جـذر الزنوجة
في فـرادة جمعت كـل الأفـانـين
هنا انغرسنا في هذا الـتراب معاً
مـنـوعـين كـأزهـار البساتين

ليرحم الله الناظر بابو. وتحية لمؤلف الذكريات د. فرانسيس دينق، ولمعيد النشر ابني الصادق بابو نمر.

الصادق المهدي
2018/10/27م

المقدمة - 2

إبان انعقاد مؤتمر المصالحة (الجنوبية- جنوبية) الأخيرة في أغسطس 2018م، والتي أسدلت الستار عن الحروب الضارية في جنوبنا الحبيب، التقينا والأخوة دكتور فرانسيس دينق ماجوك، ودينق ألور، في إطار التباحث حول الجهود الرامية إلى حلٍّ مشكلة أبيي بصورة عادلة ومصنفة، وحتى يسود الأمن والسلام والاستقرار والتنمية، فما أن تذكر مشكلة أبيي إلا تحسَّر الناس وحنّوا لماضي العلاقات والصلات التي كانت سائدة بين الناظر بابو نمر، والسلطان دينق ماجوك، تلك العلائق القائمة على الصداقة والود، والمرتكزة على ميثاق موقّع بين الناظر نمر علي الجُلّة والد بابو، وكوال أروب بيونغ والد دينق في العام 1905م، حينها انتهزت الفرصة لطلب الإذن من دكتور فرانسيس دينق لإعادة طباعة كتابه ذكريات بابو نمر"Recollections Of Babo Nimir" وتكرّم مشكوراً بمنح الإذن لإعادة طباعة الكتاب للمرة الثالثة.

ولعلم القارئ الكريم فقد ظهرت الطبعة الأولى في عام 1982م من

(Press London)، وطبعته الثانية من مركز الدراسات السودانية، وتجيء الطبعة الثالثة للكتاب من مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي تلبية للطلب الشديد عليه والإلحاح من قطاعات واسعة في المجتمع.

وللكاتب قصّة جميلة سردها مؤلفه، ولا أريد إفساد الأمر على القارئ إذ سيجدها في متن الكتاب.

كثيراً ما تمعنت وتأمّلت في علاق دكتور فرانسيس بالناظر بابو نمر، وفرانسيس لا يذكر بابو نمر إلا مسبوقاً بـ (عمّي) الناظر بابو نمر، وذلك لما ربطت بينهما من علاقات ود ووشائج محبّة واحترام، متأثراً بعلاقات الصداقة بين والده دينق ماجوك؛ لهذا نجد أن دكتور فرانسيس قد كتب عن بابو نمر بإحساس أنه ابن وعليه بالكتابة عنه بمثلما كان وقتها ينوي الكتابة عن والده.

في ثنايا الكتاب نجد أن علاقات الناظر بابو والسلطان دينج ماجوك و قبيلتيهما عرب المسيرية والدينكا نقوك، تأثرت وأثرت على العلاقات بكُلِّ القبائل خاصّة تلك الموجودة على طول امتداد خط التماس من أم دافوق غرباً على الحدود بين السودان وإفريقيا الوسطى حتى الروصيرص على الحدود مع إثيوبيا.

الكتاب بالرغم من صغر حجمه وقصر تسلسل أحداثه ومدّته إلّا أنه سلّط الأضواء على جوانب مهمة يتوجّب الاهتمام بها كالأعراف،

والتقاليد، والموروث الاجتماعي، وأثره على مجتمعاتنا وتعايش الإثنيات المختلفة، وأيضاً يتميز بتسليط الضوء على دور الناظر بابو نمر وإسهاماته على المستوى القومي، ودوره السياسي في الكفاح من أجل الاستقلال، وقد صدر الكتاب في الأشهر الأخيرة من حياة الناظر بابو وكان متوقّع أن يكون أشمل وأوسع.

ويقع على عاتقنا كأسرة الالتزام بالتوثيق بصورة أدق وأشمل وأكثر تفصيلاً، وكثيراً ما يُلح عليّ شقيقي دكتور عاصم بابو نمر بضرورة القيام بهذا العمل وسأفعل بإذن الله.

تبقى هنالك بعض المسائل وبمثل ما حثنا السيد الأمام الصادق المهدي في مقدّمته بضرورة التوثيق لرموزنا الوطنية، وهذا واجب ضروري ينبغي القيام به، وقد كان لدكتور فرانسيس قصب السبق والريادة في التوثيق لبابو نمر، نأمل أن يكون في هذا حافزاً ودافعاً لكُتّابنا أن ينهجوا ذات النهج، فأي أمّة بلا تاريخ هي أمّة بلا حاضر وبالتالي بلا مستقبل، والقيمة هنا أخذ العِظات والعِبر واستلهام الدروس، خاصّة وأن بلادنا وأمّتنا تمرّ بمنعطف، ووحدة شعبنا وبلادنا في مهب الريح.

الصادق بابو نمر

أم درمان– البقعة المباركة

2018م

عودة إلى ذكريات بابو نمر

د. فرانسيس دينق

رغم أن كتاب ذكريات بابو نمر الذي نشرته منذ حوالي عشرين عاماً قد يعتبر، ربما الأصغر في حجمه من بين كتبي، إلا أنه كان الأكثر قراءً والأحسن قبولاً في السودان. ويرجع ذلك إلى عدد من الأسباب وبالتأكيد فإن السبب الأهم هو شخص المرحوم بابو نمر نفسه- اسمه وشهرته في الحياة العامة السودانية، حكمته وفطنته، وقوة جاذبية حديثه الذي تؤكده عربية شعبه- المسيرية الحُمر- النابضة بالحيوية.

ولكنني أعتقد أن الصداقة التي ربطت الناظر بابو نمر بوالدي الناظر دينق ماجوك زعيم نقوك- دينكا في أبيي، والدور الذي لعبه الاثنان في تحقيق السلام والاستقرار لشعبيهما في منطقة التماس المضطربة، يمثل هذا عاملاً رئيساً في الروح الإيجابية التي لقيها الكتاب. وأعتقد أيضاً إنه من الأسباب التي زادت من أهمية الكتاب هو أن مؤلف كتاب عن زعيم عربي مرموق، كان من الدينكا.

قبل أن أعلق على هذه النقطة الأخيرة، أود أن ألقي الضوء على صداقة بابو نمر ووالدي، والتي ترجع جذورها إلى حياتهم الأولى. ورغم أن السياسة المحلية وتأثير العداوات الشمالية- الجنوبية، بدأت تؤثر على علاقتهم سلباً خلال أواخر حياتهما، بقيت علاقاتهم نموذجاً استثنائياً كرابطة للتداخل العرقي والتفاعل الثقافي. وقد كانت شهادة بابو نمر نفسها- ربما الأكثر إفصاحاً عن العلاقة: (بالنسبة لعلاقتي مع دينق ماجوك أقسم بالله أنه لا تفوقها علاقة أخرى، غير تلك التي تربطني بأخي علي. فنحن مع بعضنا تماماً. وهذا ربط العرب والدينكا أكثر ببعضهم. علاقتنا مع دينق ماجوك، جعلت الدينكا والعرب يزدادون ارتباطاً مع بعضهم).

من ناحية دينق ماجوك، استشهد بأغنية لإحدى زوجاته- ففي سياق الثقافة الدينكاوية- يمكن أن تتماهى أو تتقمص شخصية زوجها-شعرياً، تقول في بيت شعر: (صداقتي مع ابن عمر صداقة لا يمكن أن تنتهي) كذلك عم دينق نمر ماجوك، صديق وحليف وثيق، والعمدة: أكويل بلابك، قال نفس المعنى: (الصداقة الأصيلة التي يمكن أن تنشأ بين ابني زعماء، رأيتهما لأول مرة بين والدك وبابو نمر، علاقتهم ممتازة).

مع احترامي لدوري الخاص، انتهز مناسبة هذه الطبعة لأعلق على دعوة الناظر بابو لي لأكتب عنه كتاباً. لابد أن أذكر أن الناظر بابو، الذي كان عليَّ أن أجري معه مقابلة لكتاب عن والدي، قال لي: (أنت تريد كتابة قصة أبيك، فمن الذي سيكتب قصتي أنا؟) فأجبت فوراً سأفعل الاثنين، وأنني

سأبدأ حقيقة بكتاب عنه. نظراً لعلاقته مع والدي وللصلات الأبوية التي نمت بيني وبينه، قصد الناظر بابو أن يجعلني أدرك أنه يعتبرني مثل ابنه. لذلك، إذا أردت أن أكتب عن أبي كتابي، فمن المفروض أيضاً أن أكتب عنه هو: بابو نمر هذا باختصار كيف فهمته وكيف أحسست بالتشريف لأنه طلب مني الكتابة عنه. وكانت مشكلتي كيف يمكن أن أفي جيداً بالتزامي.

خلافاً للسيرة الذاتية عن والدي، رجل يسمى دينق، التي بدأتها بعد عشر سنوات من موته وأخذت عشر سنوات أخرى لكي تنتج، فإن الكتاب عن بابو نمر هو مشروع يجب أن يكون قصير المدى. كان الزمن عاملاً فقد كنت أريد أن يظهر الكتاب أثناء حياته ليشهد بنفسه على تحقيق وعدي له بذلك. وفي تصور لشكل الكتاب الذي يجعل الفكرة ممكنة، احتاج المرء لخيال، وسررت للناتج.

زار بروفسير عبد الرحمن أبوزيد – صديق من زملاء الدراسة بجامعة الخرطوم- كندا، عندما كان الكتاب في مسودة أولى. وأبوزيد أيضاَ عرف بابو نمر. ومن الطبيعي أن يرد أثناء حديثنا بابو نمر وموضوع العمل الذي أقوم به عن ذكرياته. واتفقنا الاثنان أنه لكبر سن بابو لا بد من الإسراع في أصداره بل وأن يحمل أبوزيد بروفات الكتاب عندما يعود إلى السودان ليريه بابو ويؤكد له أن الكتاب وشيك الصدور. وقد أخبرني أبوزيد –لاحقاً- كيف كان بابو مسروراً بالمسودة وكيف عرضها بفخر لمن كان حوله. وكان هذا سبب رضى شخصي بالنسبة لي، خاصة وإن بابو توفى قبل صدور الكتاب. وكنت

سعيداً لأن المسودة بالتأكيد قد أقنعته بأن الكتاب الذي وعدته به أصبح حقيقة واقعية.

لأن الطبعة الثانية هذه تأتي في زمن عصيب في العلاقات بين الدينكا والمسيرية، وحقيقة بين الشمال والجنوب، فإنني أرغب في ذكر بعض الخلاصات عن الدروس الممكن تعلمها من العلاقة بين بابو نمر ودينق ماجوك، وتأثيرها على شعوبهم. وأحد الدروس الرئيسية، المستقى من أسلوب قيادة الزعيمين، كان يعكس الطريقة التي يصلان بها إلى الذين ابتعدوا عنهما كوسيلة لتوثيق الصلة مع الأكثر قرباً، من أجل تعزيز السلام والوحدة بين الفرقاء. وهذا هو لب الإجابة التي حصلت عليها من الناظر بابو، عندما سألته عن أهم مبدأ اهتدت به قيادته. واستشهاداً بنصيحة أحد كبار القبيلة حينما خلف والده وهو حدث في سن الرابعة عشر. قال بأنه في النزاع بين الأفراد والجماعات، ينبغي عليك أن تعني بمصلحة الطرف الأكثر بعداً وليس الطرف الأكثر قرباً.

وأضاف بابو بأنه لا ينبغي أن يتم ذلك على حساب العدالة المتاحة للفرد. ومن بين رجال دينكا نقوك عرف دينق ماجوك، على حدٍ سواء، بحرصه الأكثر على اهتمامات البعيد من القريب. وقياساً على ذلك، عرف -زوراً- بانحيازه للعرب ضد شعبه، لأنه كان يريد أن يؤكد للعرب عدم انحيازه لشعبه في بسط العدل. ومع ذلك، فإن الثقة التي برزت في تعامله مع العرب، وتؤكد التزامه المتجرد بمبادئ العدالة، جعلت منه مدافعاً مخلصاً عن

مصالح شعبه. أمام العرب دون استعدائهم.

وهذا يقود إلى مبدأ أساسي يحكم العلاقات بين الجماعات المتداخلة. وبحسبانهم من أبناء الجوار، عايش عرب المسيرية ودينكا نقوك بوضوح فترات دورية من النزاع، ولكنهما وضعا قواعداً لمنع وإدارة وتجاوز الصراعات. ومن ناحية عامة أصبح الناس يستشهدون بعلاقاتهما بحسبانها نموذجاً استثنائياً في سياق العلاقة بين الشمال والجنوب. ويمكن التعميم بأن مثل هذه المجتمعات التي تجاوز بعضها البعض وتتشابك مصالحها الاجتماعية والاقتصادية، قد تدخل -إذا اقتضت الضرورة- في صراع بين الفنية والأخرى، وينبغي عليها أن تخلق قواعد تنظيم لعلاقاتها. وإدارة وتسوية صراعاتها وقت حدوثها. كما ينبغي أن تنسب موجات العنف الحالية، بين أبناء الجوار الذين يجتازون الحدود بين الشمال والجنوب، إلى الأسلوب الذي استغلت به الحكومات المركزية الخصومات القبلية، لتجنيد وتعبئة المليشيات، باعتبارهم حلفاء لهم في الحرب الأهلية. ولذا يمكن القول بأن التدخل المسبب للخلاف، من قبل سلطة الدولة، قد ساهم –بطريقة رئيسية- في الانتشار الأفقي للعداوات بين الجماعات المتداخلة، وفق خطوط عنصرية وقبلية ودينية. وإذا كانت سلطة الحكومة المركزية قد طبقت مبدأ القيادة (الوصول إلى الأكثر بعداً بدل محاباة الأكثر قرباً)، وإذا كانت هناك مراعاة للمعايير التقليدية الخاصة بتنظيم العلاقات بين القبائل، وحل النزاعات وقت حدوثها، لكان من الممكن إشاعة فرص السلام والوحدة والاستقرار في حدود الشمال مع الجنوب.

ولكن، هل فات الأوان لكي يسترد دينكا نقوك وعرب الحمر صلات الجوار الطيبة، أو هل يستطيعون العودة إلى عهود الناظر بابو نمر ودينق ماجوك الذهبية؟ ومهما كانت الإجابة على هذا السؤال، فإن قصص حياتهما تسلط الضوء على جانب مهم من تاريخنا، وتعمق الإحساس بما هو ممكن، لأن ذلك قد حقق تماماً من قبل.

وعليه يجب أن تكون (ذكريات بابو نمر) والرجل الذي يدعى (دينق ماجوك) مصدر إلهام لنا، خاصة للذين يؤمنون بقوة الصلة بين تراث الأجداد والتحديات التي تواجه الأجيال المتعاقبة.

وفي مقابلة مع كبار رجال الدينكا حول ماضي وحاضر ومستقبل شعبهم كنت أقول –على سبيل المجاز- بأن الشجرة، ذات الجذور العميقة، يمكنها أن تقاوم حتى الرياح العاتية، بينما الشجرة ذات الجذور الضحلة تسقط بسهولة أمام الرياح العادية. وفي هذا السياق تعتبر قصص حياة الأباء والأجداد مثل المغذيات التي تبقى على الجذور والتراث وكرامة الشعب، جيلاً بعد جيل.

ومن جهتي أشعر بالفخر والاعتزاز، لأن والدنا بابو نمر كرّمني بإتاحته الفرصة لي للاسهام بجهد متواضع لإحياء ذكرى ما قدموه من خدمات جليلة، لشعوبهم وللأمة السودانية.

أغسطس 2001م

وفاء وتقدير

عند إعدادي لهذا الكتاب، تلقيت مساعدات قيمة من عدد من الأشخاص: بريندا بيرك وكارول بيسونيت ساعدتا في الطباعة الإنجليزية وتنقيحها خلال وقت وجيز وضاغط أحمد محمود علي ساهم بالطباعة العربية. صديق أبو عاقلة ساعد في ترجمة المقدمة من الإنجليزية إلى العربية، لكن كلمة تقدير خاصة يجب أن أخص بها إسماعيل محمد عبد الدافع الذي لم يمض ساعات مضنية في كتابة وتنقيح النص العربي فقط، بل ساعد أيضاً في مراجعة ترجمتي الإنجليزية. كما وأن هذا الكتاب لم يكن من الممكن أن يرى النور بصورته الحالية لولا مساهمته.

أخص بالشكر العميق أحمد عيد مراد، صاحب دار القدس العالمية للنشر والطباعة والترجمة في أوتاوا، والذي قام بإعداد وتنضيد هذا الكتاب.

ومع أمتناني لكل الذين أسهموا في إصدار الكتاب، إلا أنني أبقى المسؤول الوحيد عن أية أخطاء أو قصور.

إذا نجح هذا الكتب في تحقيق بعض الأهداف الواردة في المقدمة فيكون قد أدى غرضه، ليس في تشريف بابو نمر فقط، بل في طرق ما أعتقد أنه لا زال مخزوناً من ثروات الخبرة والمعرفة التي يمتلكها كبارنا التقليديون والذين بذلوا الكثير لنا ولبلادنا.

المقدمة- 3

المعرفة هي انعكاس للتجربة الإنسانية، تنمو وتتراكم وتحفظ وتتناقل. ففي المجتمعات التي تتخذ من القراءة والكتابة وسيلة للتعليم نجد المعرفة منعكسة في المكتبات والمحفوظات ووسائل الايصال المتعددة الأخرى. وفي المجتمعات التي لا تقرأ ولا تكتب (الأميَّة) نجد المعرفة متجسدة في الإنسان وتجاربه والذاكرة الجماعية للمجتمع أو المجموعة، وهو ما يمكن تسميته بالتاريخ المتداول شفاهة أو الثقافة الموروثة. والصورة في معظم دول العالم الثالث اليوم معقدة لأنَّ مصادر المعرفة الموجودة الآن تتفاعل وتتعايش، وفي أغلب الأحيان لا تسلم من تنازعات... وفي إطار هذه التنازعات نجد أنفسنا متأثرين لتقييم مصادر المعرفة على أنها تحل محل الشفاهة. ولكن لسوء الحظ، فبينما غلبت الثورة التعليمية في عالمنا هرم المعرفة، ظلَّت غالبية سكان المعمورة في أميَّة- ولكي نكون أكثر دقَّة- في مرحلة ما قبل القراءة والكتابة. ويأتي على رأس هؤلاء الطاعنون في السن، والتي تفرض التقاليد أن نعتمد عليهم في المعرفة والحكمة. فكانت نتيجة الثورة التعليمية أنها قد أفرزت جيلاً لا يعترف بالمعرفة المتجسدة في خبرة

كبار القوم، والذين تشهد الثقافات جميعها، تقليدية كانت أم عصرية، دينية كانت أم علمانية بأنه وجبت لهم التَجِلّة والاحترام من أبنائهم.

وقد أوضح لي هذه الصّورة المعقدة أحد الشيوخ حين قال: (إنَّ المتعلمين من الشباب قد تجاهلونا قائلين إننا لا نعرف شيئاً.. وحتى إذا تكلم الكبير في أمور البلد المهمة، قالوا: إننا لا نعرف شيئاً. كيف لا نستطيع معرفة شيء ونحن آباؤهم؟ ألم ننجبهم؟ وعندما أدخلناهم المدارس كنا واثقين من أنهم سيتعلمون أشياء جديدة. يضفونها إلى ما ننقله لهم من معارف. أملنا أن يستمعوا إلى كلماتنا ويضيفون إليها ما يتعلمونه. ولكنه الآن يقولون: إننا لا نعرف شيئاً. إنَّ هذه حقيقة قد أحزنت قلوبنا كثيراً)[1] ومضى الشيخ يقول: (... لكن سننظر حولنا، سيكون واحد أو اثنان قلوبهم ما زالت حيّة باستمرارية السماع إلى كبارهم)[2].

وما هذا الكتاب إلا محاولة لجهد شخص للاستماع إلى كباره، بحثاً عن المعرفة والتعلم من تجاربهم، بأمل أن يدفع بالتلاحم والتفاعل بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا إلى الأمام.

إنَّ المحتويات هنا هي حوار مع الناظر بابو نمر، أحد الأشخاص الذين أجريت معهم حواراً ضمن شخصيات سودانية معاصرة وتقليدية في مواضيع عديدة. ومن هذه المواضيع ما اسميته (العنصر الإنساني

1. أفارقة عالمين ص 26.
2. كوزمولوجية الدينكا ص 287.

في الاستعمار البريطاني في السودان).. فمن الملاحظ أنَّ الكتابات عن الاستعمار قد جنحت عموماً لتقييم الوضع من خلال السياسات ومجموع صفات الحكام والمحكومين بصورة عمومية تاركة مجالاً ضيقاً للأشخاص المعنيين بتنفيذ السياسات الاستعمارية واستيعابهم تلك السياسات ودورهم في التأقلم معها وإلى أي مدى تأثروا بها أو تركت فيهم بصماتها... وعلى أمل فهم أحسن لما حدث عن التقاء عنصرين من البشر، البريطانيين والسودانيين، ونتيجة تفاعلهما من خلال البنية الاستعمارية، رأيت إجراء حوار مع شخصيات مختارة من السودانيين والبريطانيين الذين حدثت فيما بينهم اتصالات مكثفة اثناء فترة الإدارة البريطانية في السودان.. والعم بابو هو واحد من هذه الشخصيات.

وحواري الثاني مع بابو كان عن المرحوم دينق ماجوك، زعيم الدينكا نقوك في جنوب كردفان، والذي جمعته مع بابو علاقات شخصية ورسمية قوية منذ صباهما الباكر. وقد سبق لي أن قررت الكتابة عن دينق ماجوك ليس فقط لأنه شخصية فذة (غير عادية) كزعيم قبلي وراع لعائلة كبيرة تضم حوالي مائتي زوجة وعدة مئات من الأبناء، بل يضاف إلى ذلك حساسية المنطقة التي كان يديرها بنجاح، والتي تجاور أربع محافظات، هي جنوب كردفان وجنوب دارفور وبحر الغزال وأعالى النيل. وقد شمل حواري أعضاء عائلة دينق ماجوك وشيوخ من قبيلة الدينكا نقوك وآخرين من كبار قبائل الجنوب والشمال المجاورة، علاوة على رسميين في الحكومة

المركزية ورجالات الإدارة البريطانية.

والحوار الثالث عن بابو نفسه. وقصة حواري معه قصة مؤثرة. فقد حددت مواعيد كثيرة لإجراء حوار معه عن دينق ماجوك، ولكنها كانت تؤجل لأسباب فرضتها الظروف بالنسبة إلى كلينا. وفي إحدى المرات، وبينما نحن نفكر في تحديد موعد جديد، قبل مداولة جلسات اللجنة التي كونها السيد رئيس الجمهورية لدراسة المشاكل الإدارية في أبيي والتي تمثل فيها نزاعات العرب الحمر مع الدينكا نقوك العنصر الأساسي ومع الأخذ في الاعتبار أهمية موقف بابو بوصفه زعيماً لقبيلة الحمر، وموقف والدي المرحوم دينق ماجوك بوصفه زعيماً لقبيلة الدنيكا نقوك، رمى إليَّ بابو بسؤال: (أنت هسع داير تكتب قصة حياة أبوك، منو بكتب عن حياتي أنا)؟ فأجبته على الفور: (حأكتب الاثنين). وبعد ذلك احترت في الطريقة العملية التي أخرج بها القصتين معاً.. وكان ذلك مولداً لفكرة إخراج هذا الكتاب. فإذا ضممنا الحوارين اللذين أجريتهما مع بابو عن نفسه وعن دينق ماجوك، وأضفنا إليهما الحوار الذي أجريته معه عن الإنجليز فإنَّ ذلك سيجمع ثلاثة أبعاد لماضي السودان الحديث وعهده المعاصر كما شهدها رجل ذو صفات مميزة.

والحقيقة أنَّ هذا الكتاب أكثر من كونه شهادة عيان ثبوتية، ذلك لأنَّ السيد بابو نمر يتميز بطريقة أسطورية تجمع في وعاء واحد ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.. فهو شخص قد حاز على تقدير رجالات الإدارة

الأكفاء في عهد الإدارة البريطانية في السودان، فضلاً عن أنه، وإلى اليوم ينظر إليه القادة الرسميون والشعبيون على السواء، على أنه ليس مرجع للمواقف التاريخية فقط، بل على أساس أنه أنموذج حيٌّ للحكمة التقليدية ومسايرتها لروح العصر في السودان، وإنَّ كلماته لا تعكس المعرفة التقليدية فقط، ولكنها تجمع معها العبقرية اللغوية.

شيء آخر، وهو أنني لم أقدم المقابلات كما سجلتها، بل اتخذت تقديماً معاكساً تماماً، لضمان التسلسل المنطقي والموضوعي.. فجاء الترتيب الجديد؛ قصة بابو أولاً، فذكرياته عن صديقه وجاره دينق ماجوك ثانياً، وأخيراً الأطار القومي والعالمي للحكم البريطاني. وبإخراجي لهذه المادة آمل أن لا أكون قد وفيّت بعهدي للعم بابو فقط، بل وقدمت في الوقت نفسه لقرائي ملاحظات مهمة وممتعة عن بلدي السودان.

ولتسهيل مداولة المادة بين أكبر عدد من القراء عمدت إلى إخراج الكتب في اللغتين العربية والإنجليزية على أمل تذليل عائق اللغة. ولكن ترجمتي إلى الإنجليزية قد تكون غير دقيقة نوعاً ما، وفي بعض الأحيان قد تفسد خشونتها وقسوتها لهجة العم بابو المورثة وروحه الخفيفة المرحة، وقدرته الفائقة على التعبير المحلي بنكهة لهجة المسيرية.

١- بابو نمر... قصة حياة

فرانسيس دينق: عمي الناظر التسجيل ده عنك وأقترح ندخل مباشرة في الموضوع. عندي أسئلة كثيرة عايز أسألها، لكن في البداية وبالرغم من معرفتي ليك، أرجو أن تقدم نفسك للقارئ، اسمك، عمرك، منطقتك في السودان، مكانتك في القبيلة، خلفيّة عن عائلتك وأي معلومات إضافية تساعد في التعرف على شخصيتك. عايزك تتحدث بصراحة وتحكي أي شيء تعتقد أنه مهم ليضمّن في كتاب عن بابو نمر.

بابو نمر: نعم، زي ما قلت، أنت بتعرفني معرفة كويسة وما بتحتاج تسأل عن اسمي لكن بتحتاج للمعلومات لقرائك، ودي حاجة طبيعية أنك تسألني عشان أعرّف نفسي. أنا اسمي بابو نمر علي الجله... اسمي الحقيقي عثمان... بابو دي زي لقب... أنا مسمى على عمي عثمان علي الجلة... أنا صغير، جدي رباني وكنت زي الساكن معاه، جدي بينادي يا عثمان... عمي عثمان هناك بيقول نعم، جدي بيقوله لا مش أنت عثمان البابو. في عاداتنا السودانية الوليد الصغير بيقولوا ليه البابو... فكان بيناديني عثمان البابو.. خلاص بابو دي مشت لحد ما غطّت على عثمان.

لكي اسمي الحقيقي عثمان. والزول الوحيد البيقول لي عثمان، عمي الناظر إبراهيم موسىماديبو، الله يرحمه... فده اسمي. بالنسبة لعمر، أنا مولود سنة 1910. منطقتي في السودان، كردفان مركز الفولة... سابقاً، كنت ناظر عموم المسيرية، والآن مواطن عادي صاحب أعمال... مزارع وكده.

فيما يختص بالخلفيَّة عن العايلة، طبعاً نظام القبايل عندنا بيختلف من مكان لمكان. في بعض القبائل في دارفور والجنوب، النظام هنالك متسلسل من جد لي جد... ده الي بنعرفه... أما في قبائل العرب، فالنظارات تبدأ بالاختيار. الناس بيختاروا رجل بيعتقدوا فيه الخير وأنه يتفانا في خدمتهم، لذلك بيختاروا الرجل ده عشان يكون رئيس عليهم. والرئيس ده طول المدة اللي قاعد يخدم فيها كان عمره طال أو قصر، وترك في ذريته أولاد، فالقبيلة عندنا في نظام العرب بتشوف قبل كل شيء إذا كان في واحد من أولاده بيصلح للرئاسة وما بتشوف واحد في الأولاد، لكن بتشوف كل أولاد العائلة وتختار أحسنهم وأفضلهم... إذا ما وجد واحد صالح في الأبناء بيشوفوا واحد من أعمامه... يعني في العائلة... وإذا ما وجدوا بيفتشوا في القبيلة... ده النظام المتبع عندنا... فالنظارة كانت عندنا قريب مية سنة.. قبل المهدية كان عندنا رئيس اسمه علي مسار يبقى في النسب زي عم لعلي الجله جدي... بعد ما جات المهدية انصهرت كل الرئسات فيها... بعد نهاية المهدية الناس رجعت البلد وفتشت عن زول يرأسهم

ويخدمهم ويجلب ليهم الخير... اختاروا علي الجله من نفس بيت النظارة القديم لنظارة الفلايتة والعجايره... بعدين بعد شوية الفلايته عملوا ناظر براهم لأن حمر قبيلتين فلايته وعجايره... استمر علي الجله ناظر للعجايره، وبعد ما بقي راجل كبير تنازل لوالدي نمر.

والدي بقى ناظر سنة 1918 وتوفي يناير 1924. في سنة 1924 والدي عاش 13 يوم بس... والوقت داك عمري كان 13 سنة، وقبيلة العجيره اجتمعت في أبيي هناك عشان يختاروا ناظر، النظار كوال حضر، والناظر الحاج أجبر بتاع الفلايته برضه كان هناك، المفتش كان كلوفورد حضر، ومشوا لحد أبيي واجتمعوا بكل القبيلة، وقبيلة العجائره كلها اجتمعت وقالوا دايرين ولد نمر ده، وما زي ما بيقولوا النظارة وراثات وما وراثات... مش كده أنا بعتبر الاختيار ده مش لي، أنا... الاختيار ده للوالد حسب حالته ومعاملته لأهله وسيرته معهم... لكن أنا كنت ما معروف، يعني زي وليد النعام... وليد النعام صغير ده يا ربي ديك والا دجاجة، ما بينعرف.. الديك قالوا رجليه كبار شوية لكن ما بينعرف... فأنا ما معروف كوني أكون صالح واللا طالح. لكن أعمال الوالد، خلت القبيلة كلها تجمع عشان يكون ولده ده ناظر وفعلاً تم ذلك.

فرانسيس دينق: طيب، بدون مقاطعة، عشان دي نقطة مهمة ممكن تدينا خلفية عن الوالد وأعماله الي خلت الناس تنظر إليك نظرة زي دي؟

بابو نمر: والله الوالد أبوه بعد ما كبر تنازل ليه 1918، نظارته كلها كانت ست سنوات... الست سنين دي يعني كانت القبيلة كلها البلاقيه زي صديقه.. لمن توفى كل القبيلة بكت.. هو مات في كجيره هناك... وفي ناس لمن سمعوا الخبر، واحدين قالوا هي شوف النجس ده.. نمر بيقتلوا شنو! بيشوفو الموت بعيد منه... أمس ده فات منهم وكانت صحته جيدة وما كان زينا كده... كان أطول مني وصحته جيدة... كان شخصية محبوبة جداً جداً... لمن يجي مارق من المكتب، يعني الناس ديل ماشين بوراه... النسوان بي جاي ودول بيمسكوا بي جاي... بيقيف يتكلم معاهم... وعلى بال ما يصل بيته مكان حوشنا ده يمكن ساعة حتى يصل.

فالقبيلة كلها كانت مبسوطة منه جداً جداً... ما حصل في أيامه حاجة للقبيلة... بس طوالي انقطع النص... مات... لكنه عاش في قلوب الناس، ولذلك، وعشان كده ومكافأة ليه هو، قالوا نحن نمسك ولده ده... أعمامي أولاد علي الجله عشرة، أصغرهم مكي، وهو أكبر مني بثلاث سنوات. قالوا لا نحن لندور واد نمر ده... وأنا كنت قاعد تحت العراديباية هناك في أبيي. قاعد في الخيمة وناس الناظر كوال جابوا لجدي بخسة عسل... والعراديبة دي، أنا بقطع منها فرع وبكب من البخصة دي في الكوز والسعن في التيبه بخط وبشرب... وبشربماية العسل... والناس هناك بقوا قدام المفتش... خلاص كلهم اتفقوا النظارة يدوها لولد نمر... حتى أنه أبونا الناظر كوال قال يعني أنا بأييد الكلام بتاع القبيلة ده ومدح

نمر جداً، وقال أنا بأييد ولده ده يكون الناظر وإن شاء الله يكون زي أبوه... دي كلمات الناظر كوال. والناظر الحاج أجبر والناظر كوال اتفقوا وقالوا ولد نمر يخلف والده. وفعلاً مسكوني وعملوا لي وصي... الناظر الكان قبل علي الجلة كان عنده ولد شايب اسمه جبر. أنا اسه سميت عليه ولدي ده... سووه لي وصي... أعمامي كانوا موجودين... وفي مأمور مصري وحسب سياسته هو قال الولد صغير وأحسن أنا أعمل ليه وصي من بره العايلة عشان الوكيل المن بره بيخاف من علي الجله والأعمام العشرة دول وما بيعمل حاجة بطاله للولد. لكن إذا كان عملته من أولاد علي الجله يمكن يخربوا النظارة دي، ومجهودنا كله لمكافأة نمر يضيع، فقام جاب جبّر.

فرانسيس دينق: وجدك علي الجله اللي تنازل لوالدك، ممكن تحكي لينا شوية عنه؟

بابونمر: علي الجله نفسه حضر المهدية، الناظر قبله كان اسمه علي مسار ويبقى ليه زي عم، وهو مسمى عليه. وبعدين العرب سووا دوشه مع أولاد كامل وكده وقالوا ليه ما عايزينك، وبعدين هو أتنازل. مسكوا واحد تاني... مات.. والبعده كتلوه العرب. وبعد ما جات المهدية الناس حضرت لهنا[1] وبعد نهاية المهدية، القبيلة رجعت تاني وعينت علي الجله ناظر... علي الجله كان مع جيش المهدية... وهو ما رجع مع الناس، بس

1. أم درمان.

قعد لحد ما مشى قدير ورجع مع الخليفة تاني لأم درمان وحارب معاه الترك في أم دبيكرات... علي الجله ما رجع مع أهله بس قعد مع الخليفة قال (البضوق حلوها ومرها يضوقه). ما بفوت خليفة المهدي... وقعد معاه لغاية ما حصل معاه معركة كرري وحضر معاه بتاعت أم دبيكرات.

بعد وفاة الخليفة، سلاطين باشا كان بيته بجانب بيت أبو العلا الكبير في أم درمان ده، والبيت هو الحوش بتاع جدي علي الجله، ده بيت علي الجله وأبو جكه وحماد رقيعات. أبو جكه وحماد دول أخوال أبوي... ومع جدي علي الجله حوشهم واحد، سلاطين كان جنبهم، حسه في بيت أبو العلا ده في الركن الصبحاني في أويضة كده... ده كانت بتاعت سلاطين. حسه ناس أبو العلا لمن أخدوا الحته دي خلوا الأوضه تذكار.

سلاطين بقه زي مفتش عام السودان بعد ما فتحوا البلد، وهو كتب للحاكم العام في الأبيض عشان يعملوا علي الجلّة ناظر للقبيلة. لكن القبيلة من هناك عملت جبّر ناظر وجبّر ده ولد علي مسار القبيل داك... حضروا للأبيض عشان يسوّوه ناظر عشان قالوا خلاص دي سنتين علي الجله ما ظهر واعتبروه مات... عندما قابلوا المدير قال لهم خلاص.. الظهر كده قبل ما يقوموا شافوا زول من هناك ماشي عليهم... قالوا هي، الزول ده علي الجله واللا الزول منو؟ وقت شافوه كويس قطعوا الشك إنه الزول علي الجله... وقاموا جري عليه... مسكوه وبكوا معاه. وجوا قالوا له احنا جينا والقبيلة جابت جبَّر ريسناه علينا وأنت خلاص حسبناك مع الميتين.

وتوّه ما دام أنت جبيت الدار براك ما بتلزم، وجبّر ده بيتنازل وتبقى أنت الناظر... قال لهم جبّر ده أخوي وأنا وأياه الحالة واحدة قالوا ليه لا... وجبّر ذاته قال ليه لا أنت أخوي أكبر مني وأنا ذاتي متنازل لك.

الصباح قابلوا المدير تاني قالوا ليه احنا غيرنا رأينا وكده... سلاطين كان جا الأبيض، قال ليهم كيف أنتوا تدوروا علي الجله؟ علي الجله ده والله باكر يا كلكم... ده إذا كان علي الجله لقي المال، يمسك المال بي هنا ويمسكم بي هنا ويطلع المشنق بي ماله في يده ما بيخاف القبيلة[1]. القبيلة قالت لسلاطين نحن رضيانين، علي الجله بيخوفنا وبيخوف مننا. بيخوفنا من الشر وبيخوف مننا القبايل. إيه خلاص نظّروه ورجع البلد... فبعدين المده دي كلها كده لغاية سنة 18، خلاص هو بقى راجل كبير تنازل لولده... كان المأمير المصريين بيحبوا ولده جداً وكانوا أصدقاءه... المدة كانت كم سنة، ونمر بيروح البحر كناظر لكن رسمياً الناظر كان علي الجله... احنا سنة 18، علي الجله تنازل، ونمر قام مع المفتش من هناك لغاية جو الأبيض، جوا في الخرطوم هنا وخلاص تمّوا ليه النظارة سنة 18، ورجع للقبيلة واستمر من سنة 18 لغاية سنة 23. سنة 24 قعد فيها 13 يوم بس، منها اسبوع ده هو تعبان.

فرانسيس دينق: دلوقتي نرجع لقصتك أنت، أهو مسكوك والناس اتفقوا عليك.

---

1. بما أن سلاطين كان قد أوصى مسبقاً أن يشغر علي الجله هذا المنصب، فالمرجح أنه لم يكن جاداً.

الناظر بابو: اتفقوا علي. بعدين قالوا طبعاً هو لسه صغير نعمل ليه وصي... كان المأمور الموجود مصري اسمه أحمد مختار خليل وكان صديق لوالدنا. كان لمن يجي يمسكني يقعد يبكي فوقي. مختار ما كان يحترم الناس الكبار بتاعين المهدية كثير، وناس جدي كانوا دايماً معاه ما كويسين... مختار قال الوكالة هدي ما يديها لعلي الجله الشايب... ده بيناتم مع المفتش غادي غادي... والمأمير المصريين مع المفتشين كانوا قايدين المفتشين من قدام معاه شركاء... فبعدين اتفقوا على أن يعملوا جبّر، القيبل ده وكيل.

مختار قال إذا كان النظارة أو الوكالة لعلي الجله وأولاده بيسيطروا على النظارة دي، ويمكن يضيعوا النظارة من الولد، ويمكن هم ما ينفعوا. فقاموا جابوا جبَّر وعملوه لي أنا وصي. أعمامي كانوا زعلانين. وجدي كان زعلان جداً جداً من جبّر... وجبّر راجل طيب ما عمل أي حاجة... لكن كانوا ما بيقبلوه يجي عليهم في فريقهم أبداً... وبعدين أنا لما يكون في قضايا وللا كده... كان النظار عندهم سلطة الغرامة وما عندهم سلطة السجن... مثل ده... وهو يشوف القضايا... يعني معناه ده الناظر وأنا ده الوصي. فمن بدري شخصيتي دي ما مضيعها، يعني دايماً في وقت القضايا بيناديني وبقعد جنبه فوق العنقريب[1] وهو بيشوف القضايا. بعدين المامور ده لمن شاف ناس أبهاتي زعلانين نادي أعمامي... شقيق

1. سرير بلدي مصنوع من الجلد أو الحبال ويستعمل للنوم أو الجلوس.

أبوي اسمه الدرديري، وحبوبتي أم أبوي، ووالدتي، وأخوالي الاثنين حمدان وجفنو، وعمهم فكي. ناداهم في البيت اللي أنا فيه الآن. جينا قعدنا. قال لعم أنا يوم الوصاية دي شلتها واديتها لجبَّر أنا ما شلتها ضد ليكم أنتم عشان عايز أضيع حقوقكم، بل حرصاً على حقوقكم. وأعمامه ديل لو سوّيت فيهم أي واحد ممكن يطمع في النظارة ذاتها بعدين ويعاكسه بأي حاجة. لا، عشام كده أنا جبت جبَّر. جبّر، علي الجله قاعد وعياله ديل قاعدين ما بيقدر يمد ايده ويسوى حاجة بطالة، بيعمل حسابهم. لكن دول بيعملوا حساب منو! جبّر بيكون حريص لحد الود يبقى راجل. خلاص هم رضوا. أخوالي الاثنين وعمهم فكي وحبوبتي ووالدتي وعمي شقيق أبوي الدرديري خلاص هم رضوا. وبعدين الرضي ده مشى شوية شوية لغاية ما ناس قمر وعثمان برضو في الآخر رضوا... لغاية سنة 28 جات المحاكم الأهلية وأنا لسه تحت الوصاية.

فرانسيس دينق: كنت بتقعد في المحكمة كل يوم مع الوصي؟

بابو نمر: نعم، مع الوصي الناظر الحاج، ما كل يوم... هو بيته براه وأنا بيتي براي، لكن لمن تجي له قضايا هو بيرسل لي. وبعدين سنة 28 جات المحاكم الأهلية شالوه من الوصاية خلاص وعملوه نائب للمحكمة وأنا عملوني رئيس للمحكمة وعمري تقريباً كان 18 سنة. لمن نكون أنا والناظر الحاج موجودين، رئيس المحكمة أنا. لما أنا أكون ما في، رئيس المحكمة الناظر الحاج. لمن أحنا الاثنين نكون غايبين جبَّر يرأس المحكمة،

والنظام ده ماشي. بعدين جبّر كان عمده، قاموا شالوا العمودية منه وأدوها لأولاد كامل، لمقدّم الدّقم. أولاد كامل رفضوه، جابوا عمو إيدام غزوزه. في الوقت داك سنة 28 مسكنا المحاكم، وبعدين عملوا سلطات لينا بالسجن والغرامة.

فرانسيس دينق: طيب، قول لينا عن النظارة ذاتها، يعني مش بس عن المحاكم، برضو مسؤوليات الناظر الإدارية وعلاقاتك مع الجيران، يعني الممارسة ذاتها وجدتها كيف؟

بابو نمر: طبعاً القبيلة، يعني كان العمد كلهم أكبر مني، والأقل سنا مني زي ناس إيدام عزوزه وناس حمدون جار النبي دول كلهم لي زي أصدقاء ومتعاونين وماشيين. وفي واحد باسم موسى الكليس يبقي لي زي خال. خال الفيارين. وبعدين عن علاقاتنا في بعضنا، قلنا في حاجات عرف قديم ما بيتمشى مع الزمن، نغيرها شويه. ده يعني كانت الديه[1] في بعضنا هنا زي ثلاثين بقره. كانت خمسه عشرة زمان، غيروها لتلاتين فقلنا المال بقى كثير في الدية تلاتين بقره ما تنفع. نرفع الديه لستين بقره.

حسه في ديه؟ قال ما في، لأنه إذا دايرين تعملوا عرف، تعملوا العرف قبل ما يحصل شي، عشان ما في زول يقول دايرين تعملوها فوق راسي أنا. تعملوا العرف بدري. فاتفقنا كلنا في بعضنا على أن تكون الديه 60 بقره، وبعدين العرف شويه شويه مع القبايل. بعدين كان لمن تحصل حاجة مع

1. أبقار ومبلغ مالي يدفع كتعويض في حالة القتل لأهل المتضرر.

القبايل حتى بعدين نعمل عرف.

نحن بينا وبين حمر كان 60 جنيه. واحنا والدينكا ماريق كان 40 بقره. وبينا والنوير 30 بقره. بعدين حصل بينا والرزيقات برضه ديه سنة كم وعشرين عملناها 71 بقره... فالديات بينا وبين القبايل عملنا ليها قوانين. لمن تحصل أي حاجة ما في زول يقول ده بدور وده ما بدورو، خلاص ده عرف ماشي، متفق عليه.

بينا وبين حجير قبل الحوادث بتاعت 1965 كانت الديه 30 بقره، قالوا سووها لينا 50، سويناها خمسين. وبعدين المسيرية الزرق كانت ديتهم براها. اجتمعنا وسوينا الديه ستين بقره. وحمر من 600 جنيه رفعناها إلى ستين بقره... ودي العوائد بيناتنا وبين القبائل. كنا ما سكنّها بالطريقة دي.

بعدين الناظر وعمده مسؤولين من تحصيل الجزية ومسؤولين من الأمن، ومسؤولين من أي حاجة بتاعت حدود، بتاعت فتن تحصل وكده. بيقبضوا على الجاني بجيبوه للناظر. إذا كان زول كتل زول، ناس الفريق دول عندهم سلطة بقبضوا الزول الكاتل ويربطوه وبيحفظوه حتى بعدين يدوا الحكومة خبر. يجونا يقولوا فلان كتل فلان، نحن طوالي الخبر يجيني أنا. بضربوا لي الباب في الليل. أنا أقوم ارسّل البوليس، أكلم الصول يجيني وارسّل لجماعتي هنا ناس مكي وعلي وغيرهم ونمشي نقطة البوليس طوالي،

نقوّم الزول اللي جاء ده ومعاه بوليس، ويمشوا للكاتل هناك، بلقوه مربوط. ناس الفريق رابطنّه عشان الناس ديلاك كان سمعوا الخبر وجوا غايرين ما يخلوهم يكتلوه... إذا بيداوسوهم يماوتوهم، ما بخلوهوم يكتلوه، يحفظوه. نحن من هنا نركب طوالي نروح لأهل المكتول في الليل، نقول ليهم طيبين، عافية عافية، والله ما في عوجه. جيناكم نسلّم. هم ذاتهم قلبهم بيشك. الناس دول جيّتهم دي لي شنو؟ كده لغاية ما يتجمعوا كلهم، نقول ليهم والله يا جماعة فلان وفلان تشاكلوا وتطاعنوا. الاثنين خليناهم هناك عند الحكيم، ودايرنّكم تمشوا معانا تشوفوا زولكم ده. خلاص نشيلهم كلهم. أنا كان ما مشيت، برسل علي والجماعة ومعاه خفراء نجيبهم طوالي ونحطهم في السجن. وهو الزول داك مات واندفن. والكاتل، الحكومة قابضاه، لكن نحط أهل المكتول في السجن لغاية باكر بعد باكر. بنأكلهم على حسابنا. البوليس ما عنده ليهم اعتماد. الناظر يأكلهم ويجيب ليهم الشاي يوم يومين. وبعدين الناس بيجتمعوا ونطلب من المسجونين ضمانه عشان ما يحصل منهم أي حاجو. إذا قالوا ما عندنا ضامن نقوم نضمنّهم للعمد خشوم البيوت التانيين، لإننا ما بنضمّنهم لعمدتهم. لما يكون الضامن زول آخر، بعملوا حساب الزول الآخر، ما يرموا عليه جريمة... يضمنهم عمدة غير عمدتهم بميه بميتين تلتمائة بقرة ونكتب الضمانة. وإذا كان حصل أي شيء مخل بالأمن، نحن بندفّع الضمانة علاوة على الجزاء البترتب على الجريمة الحصلت. العمدة الضامن يدفع الضمانة لغاية ما

بعدين تجي الحكومة تشوف القضية. الزول شنقوه، ارتحنا. ما شنقوه، بقى سجنوه سجن ولو مؤبد يدفع الدية. محافظين الأمن بالنواحي دي مش بالبوليس. البوليس كله سبعة أو ثمانية. الأمن كله محفوظ بالعرف، والعرف سووه الناس براهم وبحترموه. ما مفروض عليهم.

فرانسيس دينق: قبل ما أنتو تضعوا العرف البدا يغيّر عدد الأبقار البتدفع للدية أو القروش وكده، كانت في حاجات بين القبائل دي كلها، واللا أنتم بداتم تؤسسوها من جديد؟ كان في عرف متبع بينكم وبين القبائل واللا جيتك أنت بديت تتحرك بينهم وبدأت تخلق العادات دي؟

بابو نمر: والله الأعراف بتاعت الديات دي كلها بوجودي، قبال ده ما في. قبل كده إذا حصل أي حاجة الحكومة تشوفها غادي غادي... وزي القبيلة ذاتها هنا كان الزول ما معروف، بتغطي عليه بظهر.

فرانسيس دينق: الفكرة بتاعت إنك تتحرك مع القبايل ديل كلهم وتخلق العرف ده كانت كيف؟

بابو نمر: والله جات بحسب الحالة اللي نحن فيها. لازم الواحد يحتاط للأمن ويعمل حاجات إذا كان حصل كده نعمل كده.

فرانسيس دينق: المبادرة منكم واللا من الحكومة؟

بابو نمر: لا مننا نحن. الحكومة ما عندها دخل في الكلام ده.

في الديات بتاعت اليد... يعني عاملين الأصبع عشرة بقرات... والعين تلاتين بقرة... لكن خفضناه. كان واحد من أهلنا احنا، واحد من المزاغنة سلّ عينه. أنا قلت ليهم طالما قبل كده عرف ما في، أنا قلت ليهم كمان نعمل عرف فيه مساعده شويه... خفضنا عشره، عملناها عشرين بقره وصارت دلوقت عشرين بقره، والسن عجله واحدة.

فرانسيس دينق: لمن كنتم بتحددوا العرف للقبايل دي، الاعتبارات كانت شنو؟ ليه مثلاً مع الحمر كان عندهم ستين جنيه، مع الرزيقات كانت واحد وسبعين بقره، مع الماريق أربعين، مع نوير تلاتين، مع حجير كذا. الاعتبارات كانت شنو؟

بابو نمر: الاعتبارات بتحصل مشكلة... حصل زول من الرزيقات كتلوه أهلنا الفيارين، وبعدين اجتمعنا في الحدود، في تقل... هناك والناظر إبراهيم موسى مادبو جاء. وبعدين كان في عرف قديم، أحنا ما حضرناه... يقولوا الديه من قبيلة لقبيلة مية بقره... ونحنا ما حضرناه، بس بنسمع بيه. لمن الحمراوي ده كتل الرزيقي هو ذاته زي مجنون كده. الناظر إبراهيم جاء، أنا كنت في كادقُلي والخبر جان هناك والناس اتحركوا عايزين يعملوا فتنه، وربنا ستر. وأنا جيت... وجا المفتش بتاعنا، ومفتش الرزيقات ما جاء.

الناظر إبراهيم موسى قال الديه مية بقره. أحنا قلنا ليهم لا، الديه عندنا تلاتين.. شنو الرزيقي أحسن من الحمراوي؟ هم قالوا لا أبداً، إلا

ميه. يومنا ده تميناه. المفتش وقف ساكت معانا. مامور شايقي اسمه أحمد إدريس، عنده صداقة مع الناظر إبراهيم. يوم بقينا لليوم الثاني، كسّينا نحن لي ضبرانا. أنا أتكلم مع أهلي، ناديتهم. قالوا نعم. قلت نحنا أن يعني وقفنا في الثلاثين كلامنا ده ذاتو خطأ. بالنسبة للعرف، ديه بطن البيت وديه القبيلة للقبيلة ماها واحد. قالوا أيوه صحيح، لكن نحنا زعلانين عشان نحنا كنا ما في، والزول ده كان مرضان، وجرى في محل الشكله ومات. الفيارين ناكرنه. وإبراهيم موسى هناك ضغط عليهم وخلاهم. وقال ليهم أنا عارف الكتل، فلان وفلان وفلان، جيبوهم لي والناس دسوا عيالهم، خافوا عليهم. قام كتّبهم اعتراف، أنهم رضيانين بالديه، فالسبب البعد ده الخلانا نحنا يومين واقفين شنو! قلنا ده خطأ، أحسن احنا نرضى بالواقع. الرزيقي ده نعمل ديته قدر اثنين من الحمر، ستين بقرة. والقبيلة وافقت.

أصبحنا الصباح، أنا رسلت جدنا عبد الجليل الصافي أبو العمدة حماد، قلت ليه هديك خيمة الناظر إبراهيم، أمشي قول ليه خلاص يا عمي الناظر احنا رضينا. الرزيقي ده جعلنا اثنين حمر. نديكم ستين بقره. مشى كلمه، قال ليه سمح. وأنا مشيت كلمت المأمور الشايقي أحمد إدريس. والمأمور طوالي مشى كلم المفتش نكليس... ما خلاص المشكلة انحلت. لمن جينا في الجلسة، المفتش قال، والله يا الناظر إبراهيم أنا مبسوط والحمد لله أنتم اتفقتم، وأهلكم الحمر قالوا نديكم ستين بقره وأنت قبلت. قال ليه لا، أنا أهلي ما شاورتهم. الناس القاعدين معاي دول ما شاورتهم.

أديني فرصة اتكلم معاهم. قام زُت شال ناسه.. خمسه سته. قعد بينهم هناك قعدة أم قنقوس بس.. دقيقة ما تمّاها، وقام جاء وبعدين المفتش قال ليه شنو يا الناظر؟ قال ليه أسألوا الجماعة ديل. المفتش قال ليهم شنو؟ قالوا مية بقرة بس. المفتش قال يا سلام شنو ميع ميع! زي وليد الضان. ما فيش ميه، نحنا قلنا ليه جنابك أنت أسكت. بعدين المأمور أحمد إدريس قال كويس. نحنا نعمل صلح، نخلي الديه دي تكون سبعين. وأنتوا إذا ابيتوا، أنا بدفع العشرة، أها، قلنا طيب تدفع العشرة أنت ونحنا قاعدين؟ ما دام أنت بتجود بمالك وتصالحنا نحنا. ديل ما هم أهلنا. لا كتّر خيرك. العشرة نحنا بندفعها، السبعين نحنا بندفعهم.

بعدين عمي الناظر إبراهيم قام قال التور الضبحوه تدفعوه. والكفن تدفعوه. أنا قلت ليه الكفن ده كان حاله تدسّوه أزرق كده، ساكت. نحن غرضنا شنو؟ المأمور قال أنا بدفع التور، يا أحمد أفندي. لكن أتحملنا نحن دفع التور وبقت الديه بينا وبين الرزيقات واحد وسبعين، وبقت عادة طوالي. وحصل بيناتنا.. هم كتلوا مننا زول، ديتنا منّهم واحد وسبعين، حتى لو كان واحد فلاتي[1] بيغادي مات ليهم واللا كتلوه هنا في الفريق، برضو نديهم واحد وسبعين بقرة.

فبينا وبين حمر.. كان برضو واحد من أولادنا، أولاد السلمات، كتل

1. يعتبر الفلاتة من غرب أفريقيا، وخاصة نيجيريا، أما ربطهم مع الزريقات في هذا الإطار فيعتبر لفته كريمة من جانب الحمر.

واحد حمري. البقرة الوقت داك رخيصة، الخمسين قرش بقرة واحدة. كمان داورا ستين جنيه. بقى كأنه 120 بقرة. الزول الكاتل دايما بتنازل عشان ده فقد زول. وأنت داير منك مال، وأنت العايزين منك المال ما تتقوى، لأنو ده فاقد راجل. فنحن رضينا. قلنا ليهم نديكم ستين جنيه.. وبقت عرف بيناتنا. قريب ده في النهود اجتمعنا نحن مع الحمر، وقلت ليهم الستين جنيه دلوقتي بقرة واحده. والكلام ده أحسن نغيّره. بدل ستين جنيه تبقى ستين بقرة... خلاص وافقوا عليها. عاما أول، لمن ناسنا كتلوا واحد من حمر، ديتنا ليهم ستين بقرة. النوير برضه. يعني بعد ما تحصل الحاجة الناس بقعدوا تحت يعملوا العرف.

فرانسيس دينق: ده، لكن هل يعني أنه قبل ما تحدث الحوادث ديك اللي على أساسها وضعتم العرف، ما كانت في حاجات تمشيه العلاقات بين الناس؟

بابو نمر: والله في، لكن غير الديّات. يعني في صلات حميده ومواصلات وكده.

فرانسيس دينق: ولو حصلت اغتيالات وكده، بس يكون في يد الحكومة؟

بابو نمر: الحكومة نعم.

فرانسيس دينق: ده بيعني أن العرف اللي عملتوه بين القبائل والصلات اللي اختلقت بين القبائل كانت بمبادرات شخصية.

بابو نمر: شخصية بينا نحن وناس القبائل... بعد ما تحصل حاجة، ما نحنا زي الإنجليز. قالوا القانون الإنجليزي مبني على الحوادث. الحادث الفلاني لمن اتحلّ. اتحل كيف؟ يضعوه في القانون المادو كه، يسووا ليه مادة. نحن كمان لمن تحصل حاجه، نقعد محل ما نعمرها نصلحها... وده يبقى عرف.

فرانسيس دينق: الحقيقة الصورة الظاهرة من الكلام هده بقى في عهدكم زي اللي بدت تظهر زي صلات قانونية أو عرفية بين القبائل لأول مرة. يعني نجد الروابط بدأت تخلق. طيب في داخل القبايل ذاتها الصورة كانت كيف؟ زي في قبيلتك، وأنت ناظر عموم المسيرية. قبل ما تبقى ناظر وزمن أبوك أو جدك، العلاقات بين العموديات والقبايل كانت كيف؟

بابو نمر: كانت الديات في القبيلة. كل عمودية ليها ديه براها. وإمكن كل خشم بيت ليه ديّه براه. وأنا ما بقول عشان الواحد يقول عملت كده. ولكن الواقع لو سألت غيري، الحقيقة تجمّع القبائل ده حصل في زمني، لكن قبالي كان كل خشم بيت ليه ديه براه. مثلاً المزاغنه أولاد سلامة ليهم ديه براهم. نحن برانا. دار أم شيبه براهم. دار سالم براهم. دار موسى براهم. لكن اتجمعنا حسه نحن أولاد كامل. بنجي كلنا مع بعض،

صف غير صف، بنجي كلنا سوا ونحسب عيالنا الرجال. فحسه نحن أولاد كامل، زي مثلا انتم أولاد دينق ماجوك. نكتب بس فرانسيس. عيال نمر يكتبوني أنا بس. يعني وراي عشرة، وراي عشرين ما بحسبوهم. دي اسمها الديّه فوق عيال الرجال. فنحن عندنا ألف واربعمائة كم وخمسين راجل، كل راجل وراه عشره وعشرين وخمسه عشر وكده.

فرانسيس دينق: يعني بيقى إذن في زمنكم نظام الحكم ذاته زي اتغير كده. لما تقارنه بالنظام اللي كان ساير زمن ابهاتكم وجدودكم، زمن كوال ونمر، زمن علي الجلّه واروب، يعني تقارنهم كيف؟ هل الحكومات زي بعض؟ واللا حكومتكم بقت حاجة تانية؟

بابو نمر: لا، ما هي الحكومة طبعاً واحة، لكن مسائل الديات دي ما انتظمت إلا في الأيام الأخيرة. يعني كان كل خشم بيت ليه ديه براه، حتى قعدنا نحنا جمعناه. وبقت العمودية كلها بتديه مع بعض. بعدين لما يحصل صف العجايره كلهم والفلايته بجوا سوا.

فرانسيس دينق: الحقيقة، أنت قبيل تكلمت عن نظام الحكم مثلاً بالنسبة للقضايا، وبعدين الديه جزء من الحكم الأشمل. عايز أشوف إذا كان في زمنكم السلطة تأسست أكثر من زمن ابهاتكم وجدودكم. وهل ده بعملكم كنظّار وأفراد، واللا ده في إطار الحكم الكان في السودان؟

هل ده كان نتيجة لمخطط الحكومة المركزية، واللا مبادرات من رؤساء

القبائل براهم؟

بابو نمر: للمحاكمات واللا...

فرانسيس دينق: التنظيم القبلي بما فيه الديه والطريقة اللي كنتم بتحفظوا بيها الأمن والأشياء دي كلها.

بابو نمر: نحن بالنسبة لمراكزنا كنظّار، الأشياء دي بنعملها نحن وبنحفظ بها الأمن... حصل في واحد من المزاغنه... نحن متاكدين ده بشنقوه لما القاضي جاء ما شنقوه. مسكه، حاكمه بالسجن. أنا تأكدت اخوان الزول الميت ده بيعملوا لينا مصيبة. أنا كنت في المكتب وطوالي رسلت جبت أخو الولد وأعمامه الاثنين. أنا كنت في المحكمة، والقاضي هناك في مكتب البوليس في المجلد، طوالي جبتهم وقلت ليهم تجيبوا ضامن. قالوا يضمنونا ليه! قلنا بيضمنوكم، كان ما ضمنوكم ما بفككم. قالوا ما في زول بيضمنا. قلنا كويس، بضمنكم أنا. شلتهم وضعتهم في الحراسة، وقلت للصول دول يكونوا تحت الحراسه لغاية ما يجيبوا ضمّان. واحضرهم قدامي هنا.

القاضي ووكيل النيابة معاه في المكتب، الصول شال الورقة بتاعتي وداها ليهم، وقال ليهم حصل كده كده. القاضي قال ليه عملوا شنو؟ الصول قال ما عملوا حاجة، قال ليه لكن يسجنوهم كيف؟ قال لأ. ده كلام غير قانوني. الصول جاني راجع وقال لي القاضي قال كده كده. قلت

ليه كويس، دا ما قاضي. رجّع ليه الورق ده وقول ليه يكتب لي فيها رأيه ده عشان أنا ذاتي وأفهم. الصول رجّع ليه الورقه وقال ليه فلان بيقول كده كده. خلاص هو رطن مع وكيل النيابة.. رطنوا إنكليزي. وبعدين اتلفت للصول قال ليه في حالات زي دي النظّار بيعملوا شنو؟ قال ليه النظار بيعملوا أهو زي ده. حافظين الأمن بالحاجات اللي زي دي. يعني القانون ماشي وهم بيعملوا حاجات زي دي بحفظوا بيها الأمن. قال ليه خلاص. لكن يغير الضمانه دي بقروش. وأنا كنت قلت كل واحد يضمنوه بثلاثني بقره، خلاص غيرناها بقروش، وخليناهم في الحراسة. أخذوا يومين ثلاثة وجوا ضمنوهم، وما حصل أي شي.

بعدين أنا والقاضي كنا متغدين سوا... ومعانا وكيل النيابة، أنا قلت ليه أنتم المتعلمين بتقولوا الوقاية خير من العلاج. نحن وقاية، وأنتم القضاة علاج. قال كيف؟ أقول مثل الحدّيه، الحدّيه جات شالت السويسيو جب. طارت بيه. بكى، جيوجيو. سألته، قالت ليه أنتو كم؟ قال أنا. قالت ليه لا، أنت خليك، أنت انضمنت. الباقين كم؟ أنتم زي الحدّيه.

ده كتل زول، جيت شنقت ده. وما عندك شغله اللي بترتب عليه شنو. ما عندك شغله. بس شنقت الجاني ده وقلت خلاص حسب القانون. لكن نحن لا، القانون ما بنكسروا، لكن بنحفظ الأمن بحاجات زي دي، عشان الجريمة ما تقع. العرب بي برّه قاعدين مثل زي ده، وزول كتل أخوهم وأنت مثلا فكيته وقلت الزول ده ما خاطئ.. في ليله بقتلوه،

واللا أهله يغيروا عليهم. فنحن وقاية للجريمة عشان الجريمة ما تقع. لكن أنتم علاج، بعد الجريمة تقع تجيبوا الحبوب وتجيبوا الأبره وتجيبوا كدي كدي...

فرانسيس دينق: الحقيقة يعني الحديث ده عن حياة الفرد لابد أن يمتد بعلاقاتك الشخصية مع كل الجيران اللي ذكرتهم ديل، ودورك في الحركة السياسية في البلد. ومعروف أنك من السودانيين اللي ساهموا في الحركة الوطنية للاستقلال. ودورك السياسي بصفة عامة. احنا عايزين نعرف عن بابو نمر في مجالات كتيره ممكن تحكي لينا زيادة بخلاف القبيلة تحركاتك خارج القبيلة ودورك الوطني والتطورات السياسية في البلد وملاحظاتك عليها.

بابو نمر: العلاقات مع القبايل يعني حسنها يبتدي من رؤسائها. كان المسيرية الحمر والرزيقات أهلنا ذاتهم لمن يتلاقوا إلا العصا. لكن أنا مع الناظر إبراهيم عمّنا عملنا علاقات كويسه واتقابلنا في الخرطوم. يوم نعمل المعرض بندعيه بجي لمعرضنا. ولمن يعمل المعرض بيدعونا بنمشي.. حصلت الألفة دي. أهلنا ذاتهم كمان ائتلفوا وتصادقوا. جميع الحمر والرزيقات زول يضرب زول ما في. بقوا أخوان. فعلاقات الرؤساء في بعضهم بتنّمي روح المودة بين الأهل. وأهلنا حمر جيرانا برضه. لكن من قديم الزمن بينا وبين حمر ما في شكل. حمر ناس هادئين، السبب الناظر أبو دكه. ناظر حمر في الأضيّه مره سألني، قالي يا فلان أنتم المسيرية الحمر ونحن الحمر عايشين مع بعض وما في شيتا بيناتنا، السبب شنو؟ أنا ما قادر

أعرفه. زي بينا وبين الكبابيش وبينا وبين دار حامد وكدا! قلت ليه أنت ما أبونا راجل كبير، أنت كان ما عرفته بعرفه أنا! قال لي لا، وريني رأيك شنو. قلت ليه رأيي أنا الشخصي! الناس بموتوا في شان المال. ومالك أنت جمل، ومالي أنا بقر. البخليك تداوسني عشان شلت البقره تقتلوها بالعطش. البقر بموت ما عندكم ليه المي، وكان أنا شت جمالك بودّيهم هنا الضبّان بقتلهم، أها بنموت عشان شنو! أنا بموت عشان المال.. والمال لا مالك بنفعني ولا مالي بنفعك. ميتين فوق كم؟ ضحك قال لي والله صدقت يا ولدي. أها، قال لي الزواج ما في واحد بقول أنا ماشي لأخوالي الحمر ولا لأخوالي المسيرية الحمر. الزواج بيناتنا ما في. قلت لي برضه أنا بفتكر عشان الظعينة متفرقة. صيف أنا بروح الصعيد وأنت بتجي في محلي هنا. إن بقى الخريف، أنا بجي هنا وأنت بتروح الريح بعيد. الظعينة ما ها جميع. الظعينة كان جميع الصبيان بتلاقوا في محلات المراعى، بلاقوا البنات، وبتعارفوا.. دي بت فلان ودي بت فلان، لكن ما بتلاقوا. الزول من بعيد كده مره ما شافها ما بدوّرها. الشايب ضحك وانبسط جداً. فده بينّا وبين الحمر.

ونحن والمسيرية الزرق طبعا بينا وبين بعض المشاكل القديمة. يعني قبل المهدية، فبعد المهدية تاني، ما حصلت مشاكل. إلا حصل عندنا واحد مشى كتل واحد، شال التار، دي جابت شويه زي فتنه. نحن اجتمعنا. أنا جمعت القبيلة كلها وقلت ليهم لازم نحن عملنا خطأ، نمشي لأهلنا

دول ونفرش خلقنا. نقول ليهم نحن خطينا عليكم، ولدنا مات في شكله، وولدنا التاني اتختر كدا، لقى ا قتله. فالتار دا عداء. نحن دا مسكناه وسلّمناه للحكومة. إن شائ الله تشنقه، نحن رضيانين. نديكم الديه في زولكم. نحن اللحم وأنتم السكين. القبيلة هنا وقفت على حيلها قالت ما بنمشي للمسيرية الزرق، كلو كلو. قلنا هي، نحنا ختينا ها بنمشي! قالولا، ما بنمشي. قلنا كويس، كان ابيتوا ما تمشوا اللي بلبس التكيّة[1] الدمّور ده، ما يبابا القمل. طبعاً أصبحت مجبور. أنا باكر فجر بركب عربيتي بروح للمسيرية الزرق في أبوزبد هناك، كان بدوروا الكتل، فلان ما أخير مني. خليهم يكتلوني. البلبس الدمور قال ما بيابا القمل. أهاء شافوا كده قبلوا. قوّمنا كل عمده معاه اثنين أجاويد... روّحوا ليهم في أبوزبد معاهم تجار، معاهم زي مكي أمين دول، ود إبراهيم دول، وبكر من هنا روّح معاهم أهله هناك في أبوزبد. وغايتوا اتراضوا، وقالوا بنديكم الديه ستين بقره، وزولنا عفيناه ما دايرين ديته، ونديّكم ستين بقره.

أها، شالوا الرضا وجونا، أيام بقينا خريف، دفعتا ليهم ستين بقره. قعدنا، بعدين ياخوانب، شنو الزول، اخوك يعني خلقه بدمه تشيله تلبسه؟ قال كو، عا شنو ياولادنا أمي؟ ما كمان الناس جول الراجل ده كمان ما بعياله وما بي أبوه، كمان ما تدّوه. أنتو ما بتعرفوا كمان؟ أها، زي رفضوا. المفتش تدخل، وبعدين اجتمعنا في الصنوط، وحمر جاب ناس منعم

---

1. لبس محلي خشن الملمس وذو مقدرة على تحمل الأوساخ والقمل.

منصور وإبراهيم ناصر وحسن أحمد عديل والجماعة الكبار دول، وفتحنا الكلام بيناتنا. حمر قالت للمسيرية الزرق، عز الدين، كلامكم ده خطأ. سمح انتوا كتلتوا زول وهم كتلوا زول، وجوك في فراشك وقالوا ليك نديك وادوك، وتّميت سنتين، وسمح العضم بتبوت؟ أنتم غلطانين، لازم تدوا الديه. بعدين وافقوا وادوا الديه، ده ولد العمدة الرهيد. فالعلاقات دايما يعني بنقعد ليها تحت وبنصلحها.

فرانسيس دينق: طيب، بالنسبة للقبائل الجنوبية؟

بابو نمر: القبائل الجنوبية مقابلنا من هنا النوير. كان قتلوا لينا زول. الزول ده مشى سرق غنم، الزول من عتاتيق هنا، من أولاد عمران ديل. فزعوا فوقوا لحقوه وكتلوه. يوم كتلوه ديته ثلاثين بقره، بقى عرف بينا وبينهم. هنامرايق قتلوا لينا زول. حصلت شكله كده، قتلوه. ديته اربعين بقره منهم، بقى عرف.

ما شفت يوم داك حسبنا الديه اربعين بقره في كادقلي وبقى عرف؟ عندنا واحد من عيالنا هناك من أولاد مسعود، كتلوه، ديته منهم خمسه وثلاثين بقره. يوم بقى قريب ده هنا بعد حوادث 1965، هم جوا لغاية الدواس، رعوا هناك. شويه، أولاد كامل ركبوا من هنا قبل العرب ما يدللوا. مشو هناك غاروا فوقهم. كتلوا منهم ناس وشالوا البقر جابوهم. نحن هنا يوم سمعنا الحادث أديت المفتش خبر. وبعدين رسلوا البوليس

وما قبضوا أي زول.

العرب شتوا في فرقانهم ببقرهم. نائب المدير. جاء هناك. غندور جاء، كورك معاي شديد خلاص، كورك معاي شديد خلاص. قلت ليه خلاص كلامك كملتو؟ قال أي، كملتو. أها، قول ليه الزول ما بحرِّش عياله! بقول ليهم أمشوا أقعوا في الحفره! الزول أبوهم ما بنكرهم. تاني كان عمل حاجة ما بنكره، لكن الزول بقول لعياله وراكم حكومة وقدامكم رجال مثلكم بماوتوكم. تقول لعيالك أمشوا موتوا دي ما بنسويها. لكن يوم هم عملوا خطأ ومشوا، أنا ما بنكرهم، أنا بحل المسألة. بوليسك اسه مشى روّح وما عمل أي حاجة. يمكن خمسه يوم ما مسك ولا أي زول. أنا باكر ركبت عربية من هنا وسقت أجاويدي ومشيت بره لأولاد كامل رقدت عندهم.

أصبحت الصباح، قلت هوي، أولاد كامل. قالوا نعم. قلت الكلام ده سويتوه أنتم. والعيال شتوا شالوا القش. أنا من محلي يا الناس ديل تجيبوهم وتجيبوا البقر يا أنا فجر بركب بروح هناك بقابل نائب المدير، بمشي بتنازل من النظارة كلو كلو. ما دام أنا قبيلتي بتعمل البطّال، وأنا ما بقدر بوقف حد وما بقدر بمسك المجرم، يبقى ما في أهل للوظيفة دي. أنا بمشي بستقيل، بخليكم أنتم الفاس على الرأس.

مشوا تشاوروا كده، قالوا لي فلان أنت ماك مثل الفيل، الفيل كان مسك الشغل بقلّه، وكان الفيل وقع في البير البقلّه شنو؟ نحن بنبدّلك

أنت بالعيال؟ عيالنا مشوا جابوا المال. أها، قاعدين، العيال الصبيان معانا، ده قام وده قام، ده قال أنا مشيت يا فلان وأنا مشيت، كلهم قاموا تكلموا.

قلنا خلاص بينوا اسامي الناس. ومسكت ورقه خلاص بينّاهم. ميتين وكم وتمانين مسكت الكشف ده. علي هناك على جهة أبو أجبر، والبوليس ما قبض على أي زول، وأنا هناك قعدت لحدي الساعة حداشر أو أطناشر والناس الجو القبضتهم يمكن زيادة من عشرين ثلاثين. والبقر يمكن ثلاثمائة وكم، وديل وديتهم المجلد، غايتو، لمن تميت يومين، ثلاثة، أربعة أيام، البقر كلهم مسكتهم وديتهم هناك.

توّه هم هناك حجير ومفتشهم وضابط بوليسهم ونظارهم جونا في المجلد. يوم جوا شافوا الخيمة بيضة. أنا روّحت أبو أجبر، قالوا ده شنو؟ والزريبة دي شنو؟ قالوا ليهم ده بابو هنا. قالوا هي بابو ذاتو في الخريف مرق لي شنو؟ قالوا ليهم مرق في شان بقبضوا الناس الشالوا البقر وكتلوا العيال. والبياض ده ديل بقركم في الزريبة. الكلام ده بعدين قالوه في المجلس. قالوا نحن لمن لقينا فلان بره، قطعنا الشك، الشغل ده من العيال مو من فلان. قبيل قلنا القبيلة عادتنا كلها. ودول الكبار عادونا، لكن ده كلام العيال. العيال نحن هناك عندنا مع المتمردين برضو خربوا الواطه. لا، نحن قلنا ليهم رضيانين خلاص. أها، الجماعة اديناهم بقرهم، ألف وأربع وتسعين بقرة. كانوا ألف وميتين بقرة، غايتو، فضلوا مائة وستة غرمتهم للأولاد المشو ذاتهم. وقبضت الأولاد كلهم وديتهم السجن. تموا

سنة، وبعدين عملنا الصلح والدية. يوم جو للديه قالوا نحن بندور الديه، نحن أسه كان العيال دول شنقتوهم بنفعونا نحن بشنو؟ الناس الماتوا دول العندو ليه أخو والعندو ليه ولد والعندو ليه أبو، المال ده يوم يجي بياخد بيهو مرة، والمرة بتجيب عياله. وكان الزول شنقوه نحن ما مستفدين. لا نحن بندور الديه ما دام مالنا ذاتنا الشالوه جابوه لينا.

قلنا ليهم خلاص نديكم الديه. الديه. الديه بيناتنا خمسة وثلاثين بقرة. قالوا صاح، لكن إذا كان دايرين رضانا، الديه بينا وبين الرزيقات خمسين بقره. تدونا الخمسين قلنا ليهم كويس، نحن ما دام خطينا عليكم وأنتم أهلنا وما عملتوا لينا حاجة بطاله ونحن ديل خطينا مشينا كتلنا، عيالكم دول ما هم عيالنا، نحن اسه بنعطيكم إلا البثر والعيال ماتو. الخمسين بقره نديكم ليها. خلاص صفقوا وانبسطوا وقالوا الماتوا فيهم بت، البيت دي كانت مخطوبة وأبوها حل الحبال كلهم المفتلهم قاعدات وسايقين فيها مائة بقرة. وناسكم كتلوها. البت دايرين فيها مائة بقرة. أقول ليهم الديه عندنا نحن المرأة نص الراجل... لكن بنتكم أم مائة دي أنا بسويها راجل بديكم خمسين زي ديه الراجل... وأنتم يا موظفي الحكومة لمن تروحوا هناك تكلمو فاطمة أحمد إبراهيم[1] وتقولوا ليها المسيرية هناك ساووا المرأة والراجل. خلاص تراضينا ودفعنا ليهم الديه.

فرانسيس دينق: قبل ما نمشي للدور السياسي على المستوى

---

1. رئيسة اتحاد نساء السودان آنذاك.

القومي وفي الحركة الوطنية نرجع لزمن أنت لسه شاب صغير بتاع 18 سنة وقضيت كذا سنة بتلاحظ النظارة. هل أول ما مسّكوك، خططت في ذهنك مسؤوليات النظارة دي هي شنو! وأنت عايز تعمل شنو في عهدك كناظر، وبالذات بعدما خلاص مسكت المسؤولية، هل عملت بنفسك تصور للمسؤولية دي واللا لقيتها راقدة ومرسومة حسب العوائد؟

بابو نمر: والله ما عملت تصور، لكن بعدما شالوا الوصي شعرت بمسئولية ثقيلة خلاص على أكتافي. والله في الليل أصحى أقعد على حيلي زي ده... أقول أنا العاصرني على البلاوي دي شنو أنا ما أضرب نفسي رصاص وأرتاح من المسئولية دي لأني شعرت بيها كبيرة خلاص، والله شعرت بيها كبيرة خلاص وأنا ما أهلا ليها في السن دي. وتضايقت منها جداً قلت أكتل رقبتي واستريح وبعدين الشي البرجعني من المصيبة دي شنو، والدتي وحبوبتي أم أبوي ومربياني هي ووالدتي أنا ولدها الكبير... وعلي صغير، حسه أنا بموت وارتاح والجماعة دول ما حيتعبوا تعب شديد خلاص... بعدين بتحمل التعب ده كله من أجلهم هم دول كمان أمشي أنوم. كم مرة بحاول انتحر لكن برجعوني هم.

فرانسيس دينق: يا سلام، تكلموا معاك وللا ده تفكيرك أنت؟

بابو نمر: لا ده تفكيري براي. أفكر في الخطا الكبير ده، وبعدين بشفق عليهم، وبرجع من الشي ده ما خايف من الموت.

فرانسيس دينق: المسؤولية دي الكنت بتحس بيها بالضبط شنو؟

بابو نمر: والله[1] المسؤولية يعني حاجة كده الواحد... أنا كنت روّحت مكة، بعدين لما مشينا عرفة شعرت بارتياح في نفسي من الله ما خلقني ما ضقته، عرست نسوان، والخيل مشن وراي في الجمعية الأف والنحاس بضرب وزعيم مسيرية، ما شعرت بحاجة حلوة زي يومي داك وأنا نازل من عرفه حاجة كده زي الواحد ما بقدر يكيفها. لكن المسؤولية دي ذاتها، ما بقدر اكيف دي المسئولية الفلانية واللا دي المسئولية الفلانية. لكن الحمل ده شعرت بيه تقيل جداً جداً ما بستطعيه عشان كده فكرت أرتاح منه بالانتحار.

فرانسيس دينق: ومتى شعرت لأول مرة أنك خلاص أرتحت من المسؤولية دي وقادر عليها وما منزعج من أنك شاعر بالوزن التقيل ده، ده بعد سنين واللا قريب، والحاصل شنو؟

بابونمر: والله أول ما تزوجت شعرت بأني بقيت راجل. يعني تاني أصبح ما عندي هم بالحصل اللي أنا كنت بتضايق منه ده. خلاص بقيت رجل زيي وزي الناس، أتحمل مسؤوليتي.

فرانسيس دينق: لكن برضه هل الزوجات والوالده، قول يعني

---

1. في هذه اللحظة توقف بابو برهة، ثم ضحك... وتبع ذلك فترة تفكير عميق، ثم استخدم مثل ذهابه لعرفة توضيح ما يرمي إليه، كل ذلك يدل على مشاعر المتحدث.

النسوان القريبين ليك هل كانوا بيساعدوا في التفكير في المسئوليات ويشاركوك شيل الحموله دي؟

بابو نمر: النسوان ما بشاركني، لكن زي حبوبتي طبعاً من نسوان المهدية ووالدتي اللي هي مربياها حبوبتي ذاتها يوم خطبوها لوالدي كانت هي صغيرة كده.. فبتكلموا معاي كثير في المسائل الزي دي يعني كده، والفلانيين يعني كده كده يا فلان... لكن النسوان ما بتدخلن في حاجات زي دي. لكن والدتي وطبعاً أعمامي من باب اولى وحبوبتي بتكلموا معاي. يعني القبيلة كده كده. حتى أن والدتي مرة شافت الشباب الكانوا معاي في البيت وربيتهم أنا وعلمتهم وزوجتهم وهكذا وبقوا من أكبر الأعداء... حتى والدتي قالت لي فلان أنت زمان ما قالوا الملاح أمضى من السلاح. وأم بغيته دي خاف مسخت الملح ما قال الملاح ده أمضى من السلاح. خاف أم بغيته السكر ده مسخ الملاح. الناس أنت ربيتهم وسويتهم وحسه بقوا عدو، وجعه واحده ما جاتهم.

فرانسيس دينق: بعد الممارسة للمسؤولية أيه الحاجات اللي بدت تظهر ليك كحاجات مهمه جداً بالنسبة للقيادة في القبيلة يعني الاعتبارات أو صفات القيادة اللي شعرت أنها مهمه جداً عشان تقوم بواجبك بصورة مقدرة وفعاله وناجحه شنو؟

بابو نمر: المامور مختار المصر اللي ذكرته ليك صديق والدي،

وحضر وفاة والدي مسكني من يدي وقال لي تعال أنا يا عثمان بوصيك. يوم تبقى راجل تمسك شغلك في يدك، ويوم يجنك القضايا كان جالك الكامل والفيراني أبقى مع الفيراني وما تبقى مع الكاملي. وكان جاك الفيراني والمزاغني أبقى مع المزاغني، وكان جاك المزاغني والعمراني أبقى مع العمراني يعني الزول الأبعد أنت خليك معاه، في جانبه. فدي وصية مختار. فأنا من شعوري ومن كلامي وكده يعني ماسك الناحية دي وبدون ما تدخل في العدالة لكن دايماً جانب أهلي بضغط عليهم بشده.

فرانسيس دينق: ده جانب مهم. في جانب ثاني بنفس القدر من الأهمية يعني وأنت ممارس مسؤولياتك أيه الحاجات الشعرت بأنها نفعت وزي الشكلت مبادئ اشتغلت عليها؟

بابونمر: والله الأعراف اللي قلتها ليك دي زي أسس، والتعاون بينا وبين كبار رجال القبيلة أو القبائل برضه ساعدني كثير... هم يحترموني كثير وكذلك أنا ببادلهم نفس الاحترام وكلهم لي زي الأصدقاء... الناس الكبار والعمد والقدري والأصغر والأكبر مني وكده... يعني زي كلنا كأصدقاء زي ناس حرقاص زوي ناس أبو القاسم وزي ناس حماد غلو وزي ناس النعيم دول كلهم أصدقاء. لكن ناس مهدي وإيدام وحامدين دول ناس كبار طبعاً... أبهاتنا... فالتضامن بيناتنا هو اللي ساعدني في العمل.

فرانسيس دينق: زمنكم يخيل لي كانت في عوامل كثيره ممكن تعلب

دور في ترسيخ القوة أو السلطة... عندك الحكومة هنا... البوليس والجيش والقوة الحكومية كلها وراك... عندك برضو صلاتك مع القبيلة وعندك المنفعة البلقوها الناس منك سواء مادية أو روحية أو كده... ويعني لو قسمت الاثنين ديل في أشياء... أو يعني الاحترام الناتج من الخوف لأن أنت وراك حكومة والاحترام الناتج من الحاجات الثانية سواء كرم أو لطف الحديث أو عدالة بين الناس في زمنكم تفتكر الأهم كان شنو؟

بابو نمر: والله السؤال ده ممكن يجيب عليه غيري، لكن أنا ممكن أجاوبك. الاحترام اللي أنا لاقيه من القبيلة مش علشان القوه، وأنا وراي الحكومة، لا التعاون اللي ذكرته وحسن المعاملة والمجاملة بيني وبين القبيلة والعدالة بينهم حتى أن الواحد فيهم بضرب مثل بقول إذا كان أنا جيت قدام بابو كان ضبحني خلاص حلو لي. يعني بشعر أنه بيجد عدالة فالاحترام ده أنا لاقيه من حسن المعاملة مع الأهل في كل الأشياء.

فرانسيس دينق: طيب ممكن ندخل في السياسه شويه ونشوف دورك في أيام الأحزاب؟

بابو نمر: إذا في دور!

فرانسيس دينق: خالص. طبعاً في دور ولا زال في دور، وحنجي نتكلم عن الحاصل في البلد.

بابو نمر: يعني من البداية!

فرانسيس دينق: نعم لأنه حقو القصة دي نحن عايزين لو طبعت كتاب عن الحديث ده، عايز البقرأ الكتاب ده يمسك هذا الزعيم بابو نمر مما كان صغير، وممارسته لنظارته ودخوله في السياسه الوطنية، ومع السلطة، وبكون زي عارفك وكده، لمن يقرأ زي كأنه عايش معاك الفترة دي لحدي دلوقت. عايزك من هذا المنطلق تدخل في الحاجات الثانية براك كده لغاية ما تحمل المرحلة القريب من المرحله اللي أحنا فيها دي.

بابو نمر: نحن طبعاً أول السياسة ما بدت... المفتشين الأنجليز طبعاً كانوا موجودين... وهم ديل ناس كمدرسين بالنسبة لينا... فقام المجلس الاستشاري... الحكومة الإنجليزية قررت تشرك السودانيين. طبعاً الطبقة المتعلمة دي، بتطالب بأنه لازم يكون ليهم اشتراك في الحكم و... و... إلى آخره، فالإنجليز مسكوا الأدنى، قالوا نعمل مجلس استشاري لشمال السودان. فأولاً عملوا مجالس المديريات ونحن جينا فيه بانتخابات على مرحلتين... مش مباشرة طوالي كدى... مرحلتين بواسطة المجالس.

جينا لمجلس المديرية ومنه جينا بالانتخابات للمجلس الاستثاري في الخرطوم. أنا كنت ضمن الثلاثة اللي أختاروهم أعضاء لمجلس المديرية، يحيى أحمد عمر بتاع الجوامعة، وخليل عكاشة للتجار، وأنا، الثلاثة أختارونا لمجلس المديرية وجينا في المجلس الاستثاري لشمال السودان.

الأجندة بعملها مكتب السكرتير الأداري، والمناقشة كلها بتكون في حدود الأجندة ما تقدر تمشي جاي ولا تمشي جاي، الخطة مرسومة، فخشينا في المسألة دي وبنتكلم عن مديرياتنا هناك. وبعدين في الآخر السيد عبد الرحمن كان عنده سياسته تجاه الحكومة وإنشاء المجلس الاستشاري.

الاتحادين، الناس بسمّوهم الأشقاء، الزمن داك معاهم الأحرار وياتو وياتو... رفضوا دول متعاوين مع المصريين. نحن هنا ناس السيد عبد الرحمن متهمين إننا متعاونين مع الإنجليز. نحن بنقول عاوزين السودان للسودانيين، والإنجليز من الناحية دي موافقين على المبدأ. والسيد عبد الرحمن ماشي معاهم، فيكون في مجلس استشاري وبعد ياخد أربع سنين تكون في جمعية تشريعية، بعد الأربع سنين يكون في اقتراح لحكم ذاتي، حتة بعدين الاستقلال.

فدخلنا المجلس الاستشاري على أساس أن الاستقلال جاي على مراحل، الاتحادين رفضوا، السيد عبد الرحمن قال ليهم يا أخوانا إذا كان عايز من زول مائة جنيه وما بتقدر تاخدها منه بالقوة، لكن قال ليك آدي عشر جنيه، أمسك العشرة جنيه.. ترفضها؟ وما بتقدر تشيل الباقي؟ أحسن تشيل العشرة جنيه دي. أولاً، بتكون أعتراف بحقوقك وثاني مرة بنقصن بدل مايه يكون الباقي تسعين. فما دام ما بتقدر تشيلهم كلهم، فأحسن تشيل ده وتمشي للأمام. يبقى لينا قوة ويثبّت لينا حقنا ويساعدنا.

وعلى الأساس ده دخلنا الجمعية .

نحن الحقيقة... زي السيد عبد الرحمن، نحن الأنصار، وعلى الموظفين اللي هنا من ناحية الحكومة وكده، خشينا المجلس الاستشاري. عدينا فيه أربع سنين، بعدهم كونوا لجنتين، لجنة تشوف اشتراك السودانين بشكل أوسع في الحكومة المحلية وفي المركزية. يكون يعني في مجلس وزراء وللا حاجة زي دي، فاللجان دي جابت توصياتها ودرست.

ونحن كان في افتتاح المجلس الاستشاري الحاكم العام والسادة الاثنين السيد علي والسيد عبد الرحمن يحضروا الافتتاح ويطلعوا... سير جميس روبرتسون الوقت داك مسك منصب السكرتير الإداري بعد نيوبولد، وبرأس المجلس فمن ضمن خطابه الافتتاحي، الحاكم العام قال السودان إن شاء الله بعد عشرين سنة ياخد الحكم الذاتي. أنا ذاتي والله ضحكت من قلبي، قلت يعني بعد عشرين سنة نكون أحرار زي الإنجليز ديل... في الحقيقة أخدنا الاستقلال بعد عشرة سنين، يعني العشرين سنة نقصت النص.

بعدين بعد اللجان دي وصت، بقت في جمعية تشريعية تضم الشمال والجنوب... حتى الإنجليز معترضين أن الجنوبين ما عندهم مستوى يخشوا المجلس وكدي كدي كدي. أنا قمت قلت ليهم أنا بعرف الجنوبين ديل أكثر من كثير من الجماعة دول. فهم ناسنا ونحن دايما

بنجتمع في اجتماعات، والشيء البعرفو عنهم، والله، ولو لا بنختلف في اللغة، والله أحسن من كتيرين مننا، ناس فاهمين جداً جداً.

فغايتو، الجمعية التشريعية جمعت السودان شماله وجنوبه، أها استمرينا كمان ثلاثة سنين، أربعة سنين، بعدين بقينا في الحكم الذاتي، وفي يوم جينا للحكم الذاتي بقت شويه في مشكلة، الاقتراح ده مضيناه ونحن كنا ستة وتسعين، مضيناه كم وسبعين، بعدين المصرين والإنجليز كانوا في مصر عندهم نقاش عن مسألة الجلاء عن السويس وكده... زي تقاربوا شويه، بعد ما ناس جمال ديل ما مسكوا ونجيب. بعدين ده الكلام الأخير اللي نحن سمعناه من ناس السيد عبد الرحمن الإنجليز يعني دايرين يتنكروا هنا. هناك المصريين قالوا للإنجليز أنتم بتبحثوا معنا وإنجليزكم في السودان عايزين يدوا السودان الحكم الذاتي؟ نتفاوض معاكم على أيه؟ جات تعليمات هنا عشان المسألة دي يتقلوها شويه، الناس الإنجليز الكانوا متفقين معانا على اقتراح الحكم الذاتي تنكروا، بقوا ضدنا، كمان، نحن خلاص المشوار ده تميناه، تاني أبينا ما نرجع.. من كم وسبعين، لمن بقينا تسعة وتلاتين.

يوم بقينا في التصويت الناس المعارضين كانوا ثمانية وثلاثين ونحن المؤيدين كنا تسعة وثلاثين... لو في واحد نفر دخل كان هم بقوا تسعة وتلاتين ونحن المؤيدين تسعة وتلاتين ويسقط الاقتراح. واليوم نكون في حالة غير الحالة اللي نحن فيها دي، ويقولوا السودان رفض الحكم الذاتي،

لكن الزول نحن مسكناه، خليناه برّه قفلناه في أوضه، هو مرق برّه ونحن مرقنا برّة ومسكناه، الجرس كان ضرب عشان التصويت، نحن خشيّنا، على بال ما فكّاه وجاء الباب قفل، هو يضرب الباب حوالي دقيقة، لكن تاني ما خشّ. صوتنا تسعة وثلاثين قصاد ثمانية وثلاثين.

يحيى حرقاص[1]: الزول ده منو، ومنو الكانوا معاك؟

بابو نمر: الزول ده خلوه اسه، بعدين الاقتراح فاز بصوت واحد، فالسكرتير الإداري قال لعبد الله خليل زعيم الجمعية أنا ما برفع الاقتراح ده لأنه ضعيف ولأن أغلبية السودانيين ما عاوزين الحكم الذاتي، وفي جزء كبير من السودانيين بره، ما دخلوا معاكم، وأنتم الجوه فزتم بصوت واحد، أنا ما برفعه.

عبد الله خليل قال ليه كويس جداً أنت ما ترفعه لكن نحن برضه استفدنا لأنه أخواننا اللي أبوا يخشوا معانا رفضوا يصدقوكم وقالوا أنتم الإنجليز ما بتوفوا العهود، ونحن صدقناكم وخالفنا الواقع. نحن دلوقت بنرجع وننضم كلنا كتله واحدة على أساس أنكم ما عندكم عهد وما عندكم وفاء وبعدين أنتم اللي عايزنه سووه، عبد الله خليل قام مرق منو فات.

أها، شكا عبد الله خليل للسيد عبد الرحمن قال ليه عبد الله خليل

---

1. ابن وخليفة العمدة حرقاص الذي سبق أن ذكره بابو.

شتم الإمبراطورية كلها حتى الملكة، وبعدين السيد عبد الرحمن قال ليه بكره تجي تفطر معاي وأنا بجيب عبد الله هنا، وجاب عبد الله والسيد الصديق والسيد محمد وفطروا في السرايا والسكرتير الإداري معاهم... السيد يحكي لينا الكلام ده... بعد ما فطروا السيد فتح الكلام ده قال أنت يا عبد الله يعني ما ليك حق تقول كلام زي ده. لكن أنت يا سير جميس الاقتراح ده أنت قلت ما بترفعه لأنه ضعيف. نحن لما قبلنا ودخلنا أنت ما أديت اعتبار للناس البره. قلت دي أغلبية، أهل السودان اللي هم في الجمعية التشريعية، ودول السودانيين اللي أنت قلت أغلبية صوتوا بالشكل ده، الأغلبية ما عندها يعني شي محدد يجب أن تكون كده... يعني مجرد أغلبية... وعلى أي حال أنت ما تخسرنا... نحن مشينا معاكم. أرفع الاقتراح ده لدولتي الحكم الثنائي خليهم يرفضوه هم... ونحن هنا وأنتم نكون عامرين، لكن لمن ترفضوا هنا، يكون خلاف بيننا ودا الشي اللي أنا ما دايره، أرفعه خليهم يرفضوه هم.

وخلاص قال لعبد الله تمسك السير جميس تتعافوا معاه، عافاهم، ورفعوا الاقتراح ووافقوا على مسألة الحكم الذاتي.

فضلنا تسعة وثلاثين بس، روتسون خوّفنا قعدنا نصوت كي، من هناك بعدين استمرت الجمعية التشريعية، قضّينا فيها أربعة سنين، والاتحاديين قالوا لن ندخلها ولو جاءت مبرّأة من كل عيب، ودخلنا نحن فيها.

وبعدين، بعد الجمعية التشريعية، حتى بقت المفاوضات، السيد عبد الله الفاضل الله يرحمه عنده صديق واحد اسمه يحيى نور كان مصري بتاع الاقتصاد هنا في السودان، فأتفق معه واتصل بنجيب الهلالي. نجيب الهلالي كان رئيس الحكومة المصرية، يعني رئيس الوزراء. نجيب كتب جواب وجابو للسيد عبد الرحمن، قال أنا داير ترسل لي وفد عشان نشوف وجهة نظركم في الجفوة البيناتنا دي شنو، ونوريكم نحن وجهة نظرنا، فالسيد من هنا قوّم وفد فيه خمسة، الشنقيطي، عبد الرحمن علي طه، والسيد عبد الله إبراهيم أحمد، وقال أنتم مشايخ العرب انتخبوا واحد، المشايخ انتخبوني أنا، بقينا خمسة.

سنة 1952 مشينا مصر، هناك تفاوضنا معهم. قدر ما حاولونا عشان نحن نعترف بالتاج الرمزي... وأدونا ورقة نكتب فيها العاوزينه كله، ويمضوه لينا ويرفعوا منه صورة للأمم المتحدة هناك في أمريكا. قلنا ليهم لا. والله أنتم عارفين نحن ما جينا مفوضين من السودان كله. جينا نمثل الأمة والاستقلاليين، ما عندنا تفويض عشان نقول ليكم كلام زي ده. وبكل أسف الديمقراطية هنا مش موجودة، يعني نحن نديكم انطباعات زي دي وبكره الملك يقول أنا حليت مجلس الوزراء وجيبوا وزارة تانية، يبقى نحن كسبنا شنو؟ غايتو، على كل حال، وجهة نظركم نوديها هناك للاستقلاليين، وهم كمان أنتم عرفتم وجهة نظرنا، ويمكن تكون فيها مفاوضة ثانية، فجينا هنا، تدارسوا المسألة وقام وفد تاني، والوفد التاني

حضر الانقلاب بتاع ناس محمد نجيب.

ونحن هنا غايتو دقشونا السيد فلان والسيد فلان... خلاص وتبعناهم. وكان قبيل ما هم السادة، السياسة دي نحن ذاتنا ناس برّه ما بندخلها، في جلابة اللا بتاع السيد علي دخلوا، وناس السيد عبد الرحمن دخلوا ونحن كمان معاهم. والسيد بابو والسيد إبراهيم والسيد فلان والسيد بوث والسيد ستانس لاوس، وغايتوا ملينا في السيادة، قبيل السيادة دي من غير السيد علي والسيد عبد الرحمن ما في سيد، كلنا سوونا سادة، في زول يرفض يسموه سيد؟

فرانسيس دينق: ونظرة الناس في القبيلة للنشاطات دي كلها مثلاً عند أهلنا هناك وأنت أهو متحرك للخرطوم ولمصر وبعدين كمان مشيت للتتويج في لندن، ناس فاهمين السياسة على المستوى ده واللا أنت فريد وسط الناس دول؟

بابو نمر: والله الناس الفاهمينها ما كتار، حتى انه عندهم نكته لمن مشيت أنا لتتويج الملكة، قالوا ما سمعتم عمي إبراهيم موسى وبابو مشوا للمكلة هناك بابو بنقض وإبراهيم بمشط، قلت ليهم والله ده شرف كبير حطيت أيدي للملكة في رأسها.

فرانسيس دينق: أسه أنت من القلائل اللي شافوا التغييرات الحصلت كلها، من الزمن اللي أنتم ماسكين الأمن والاستقرار في المنطقة،

وبينم القبائل، والتغيرات اللي جات مع الثورة، تقييمك لدور النظار زمان والحصل دلوقت ودورهم اللي كان يجب أن يكون حتى في الوقت الحاضر، تقييمك يكون شنو؟

بابو نمر: والله سؤلت كثيراً في الموضوع ده وما بحب أتكلم فيه، لكن بتكلم معاك شويه، ليه؟ لأن شهادتي شويه مطعونة، لأني أنا من رجال الإدارة الأهلية، الحكومة ذاتها لو لا اعترافها السنة دي أنا ما كنت بتكلم، في مؤتمر الصلح في كادقلي، الحكومة من ضمن الأوراق اللي جات هناك أنه في فراغ لغياب الإدارة الأهلية، فمعناه هم ذاتهم شعروا على أنه بغياب الإدارة الأهلية في فراغ! ايوه... والفراغ ده بشوفوا الطريقة اللي بملوه بيها، بالإدارة الأهلية بنظامها داك، أو بنظام تاني أو أي جهاز آخر.

لكن الفراغ ده ترك لا في ضرايب بتندفع، ولا في استقرار ولا في أمن في البلد، ولا في أي حاجة، يعني الواطة كلها... ده شنو؟ فالفراغ ده أصبح موجود، نحن كان رأينا، النظار الموجودين زي ما مثلاً سنة 1968 خلال مؤتمر زعماء العشائر في الخرطوم أنا قلت لهم الإدارة الأهلية زي قلم الرصاص بقرشين، ده قلم باركر بعشرة جنيه، لكن العبرة بالموضوع البكتبو، يعني البتكبو الباركر بعشرة جنيه قلم الرصاص بكتبو، فنحن الإدارة الأهلية رخيص ويجري اللازم، يعني الإدارة الأهلية دي أذا كان الحكومة فقدتها تكون فقدت حاجة كبيرة جداً جداً.

ونحن بنفتكر الحكومة تطور الإدارة الأهلية، وإذا كان الناس الموجودين ما مرغوب فيهم أسألوا القبيلة. الما مرغوب فيه القبيلة تشيلو يجيبوا زول مرغوب فيه، لكن الجهاز ده... ما بندافع عن نفسنا، بندافع عن أنّ الجهاز ده لغاية دلوقت في حاجة ليه! إما في المدن، يعني استنفذ أغراضه، لكن في الريف برّه رحاله هو لم يزل ليه ضرورة، ومصيبته إنه جابوا ناس قالوا يدرسوا الإدارة الأهلية ما بعرفوا عنها حاجة ولا شافوها ولا شافوا أهلها.

فرانسيس دينق: سؤال شخصي أخير، يعني بحكوا لي اخواني عن الأيام الأخيرة لوالدنا دينق ماجوك، وأنه من الأشياء اللي أثرت فيه وجايز تكون ساعدت في وفاته خوفه من أن النظارة حتنشال من الدينكا ذاتهم، وزي في تصوره، حسب تقييم الأولاد، حياته كانت مربوطة بالزعامة، لدرجة أن حياته كانت مربوطة بتصريف الزعامة دي حتى أنّ أحساسه أنه حيكون شخص بلا سلطة، ده أثر في نفسه كثيراً، فقالوا في أيامه الأخيرة كان بيسأل كتير هل النظارة حتنشال؟ وكان رد الناس البقولوا أنها حتنشال كان دايما بزعجه كتير وبحب يسمع من الناس البيقولوا ده ما حيحصل، طيب أنت شاهدت التغيير وعشت فيه واشتغلت في مؤسسات الثورة لكن أحساسك بينك وبين نفسك لمن تفكر وتتذكر الفترة اللي كنت زعيم فيها وكل المسؤوليات المارستها وكده، وراحت النظارة، شعورك الشخصي كيف في التغييرات دي؟

بابو نمر: أيوه والله، أنت قلت فهمت من أخوانك النقطة دي، هو تفكيره النظارة بتروح منه هو، واللا النظارة في السودان كله حتروح؟

فرانسيس دينق: في السودان، يعني كانت بدت تروح في الشمال ومتحركة على الجنوب فكان زي متخوف أنه القصة دي جاياه.

بابو نمر: أيوه، قال المثل أخوك كان زينوه، رأسك بلّه، يعني الموس ماشه عليك، فطبعاً الإدارة الأهلية أنحنا مما شبينا لقينا جدودنا وأبهاتنا عندهم الزعامات دي وكده، كنا بنفتكر إنه النظارات دي لو شالوها مننا والله ما قادرين نحيا كيف، يعني نبقى زي شنو؟ نظارة بقت ما في، نبقى وزي ناس الشارع دول واللا كيف؟ يعني ما عارفين، لكن بعد شوية شالوا النظارة، بقينا زي الطفل البتعلم المشي، الطفل أول ما يقوم ما بقوم، بمسك العنقريب ويلفه، وبعد شويه بفك العنقريب، وتك تك يمشي؟ يعني والف ونحنة والفنا، لغاية ما أسه جربنا طق طق طق.

لكن كنا بنخدم قبايلنا، والله مانا متأسفين وشاكرين قبايلنا لأنهم اختاروا جدودنا واختاروا أبهاتنا، واختارونا نحن لزعامتهم وظنهم فينا خير، والشي اللي نحن بنعرفه أنه جدودنا وأبهاتنا ما خيبوا ظنهم في اختيارهم ليهم، وكذلك نحن.

إلا أن الحكومة دلوقت شالت الجهاز ذاته ما شالته القبيلة، القبيلة ما شالت مننا حاجة ولغاية دلوقت القبيلة عاوزه الجهاز ده. لكن الحكومة

شالت الجهاز كله. فنحن ما عندها عداء شخصي لينا، لكن النظام ذاته أصبح ما بتمشى مع النظام الجديد ده، النظام الحالي البسووه الوزراء... ده الوزير الكبير ده بلم عليه عيال، عمال وكدى كدي نهارهم يتموه معاه.. قال الوزير عنده اجتماع... لا كلامهى بفهموه ولا كلامهم بنفع معاه. بلموا وبفروا بلا شيء، ده من الحاجات دي ذاتها للي عطلت الواطة. زمان الحاكم بعرف الشغل ده صاح بيعمله، لكن أسه كان تعرف صاح تفتح الكتب متل ده... لا إلا تجيب اللجنة وتشوفوا معاه قالوا صاح صاح، قالوا مو صاح مو صاح.

يحيى حرقاص: عارف يا دكتور أنا بتذكر أنه عقد مؤتمر في بابنوسة بين الرزيقات والدينكا حجير، وكان المؤتمر كبير جداً، من وزراء الأقاليم حضره سبعة وزراء بما فيم واحد كان اسمه نتال الواك، وحضره زعماء الدينكا الكبار، بتاع رمبيك.

عثمان أحمد بشير[1]: اسمه أرول كشوك؟

يحيى حرقاص: *وكذلك اللواء الباقر*... فعلاً، بعد الناس وصلوا المؤتمر تم الاختيار على عشرة أو خمسطاشر. كان يرأسهم عمي الناظر بابو، فدول كانوا لجنة وساطة، وفعلاً هذا المؤتمر بيوريك أن فراغ الإدارة الأهلية شعر بع حتى السلاطين في الأقليم الجنوبي.

1. أحد رجال المسيرية الذين عاشوا وتاجروا في جنوب السودان، ولذلك فهو على قدر كبير من المعرفة بشخصيات جنوب السودان.

كان ناس الإقليم بيفقدوا أكثر من ألف شخص من ميت لي حي، طبعاً خسارة كبيرة جداً قريب للسبعمائة من ماشيه لدجاج لشنو... فكانت أول بداية المداولات، أنا بتذكر ناظر حجير بدأ قال أنا كقائد أنا متأسف جداً ما بقدر أتكلم لأنه بي هنا العرب بقوا بدون رأس... إبراهيم موسى مادبو بقي ما فيش وتوه في المسيرية، بابو نمر ما فيش والدينكا هناك دينق كوال بقى ما فيش، عرب ما عندهم زول... ولذلك... دى كلام... أنا ما بتكلم عن ناظر ود ناظر أنا بتكم عني أنا لأني كنت بخاطب بابو نمر ودينق ماجوك.

عثمان علي بشير: ده مش كان دينق لوال؟

يحيى حرقاص: بالضبط دينق كوال... قال لو دخلت أي حاجة على دينق ماجوك كان بحميها... بكرة بعد بكرة بتجيني، بابو نفس القدر، إبراهيم موسى بنفس القدر، لكن مما شالوا الإدارة الأهلية وصفوها العرب بقوا بدون رؤوس.

عثمان علي بشير: هو قال العرب أصبحوا بقر بدون راعي.

يحيى حرقاص: بالضبط، قال ليه يالسيد الوزير، العرب الليلة ماشين بقر بدون راعي، ولذلك نقترح أنو الإدارة الأهلية يجب أن تعاد بالنسبة للقبايل الرعوية، لأنها هي أهم من كل حاجة، فعلاً كان كل السلاطين بتاعين الأقليم بنفس القدر.

آخر اقتراح كان تم اختيار العم بابو وسلموه دور حساس جداً في المؤتمر، وفعلاً كان هو المرجع بين الدينكا حجير والرزيقات، وكان لاقتراحاته وتوجيهاته الخلاصة في نجاح المؤتمر، لغاية الأولاد والبنوت الشالوهم الرزيقات رجعوهم تاني، فعلاً كان هو الموجه بأن الشيء ده وده بتعمل بالطريقة دي، أنا شخصياً كنت في المؤتمر ده. رجعنا ورا، ولما جينا قابلنا السلاطين، قالوا لينا انتو المسيرية ما عندكم رأس... الرزيقات ما عندهم قيادة بنفس القدر أبيي، ما فيش دلوقتي قيادة فلذلك الناس المجاورنكم بعد كده إلا يتعبوا، يتعبوا تعب بس قلنا ليهم ليه؟ قالوا أنتو ما عندكم قيادة تمشوا ساكت زي البقرة الرايحات.

المسألة دي بالنسبة للإداة الأهلية والله عملت تأثير وشلت الحكم ذاته، الليلة أنا بقول ليك بأمانة يعني في مشاكل داخل المجلس، يجيبوا لينا الضباط خريجي الجامعات، نحن ما عندنا شك بالنسبة للتعليم بتاعهم، لكن أبداً ما عندهم أي فكرة على أن الرعاة دول بالنسبة للنظار ده تخصص، يعني أنا متأكد الليلة الناظر بابو في المسيرية، كان جاء أي مسيري بقول ليه أنت ود فلان الفلاني، ودي حاجة أنا شاهدتها فوقه، بنفس القدر الدينكا، فدي صفة، يعني أنا بذكر مرّة كان جانا زول هنا من أولاد عمران شغال عامل هنا، الناظر بابو قال ليه أنت من القبيلة الفلانية ونسبة من جد لي جد، وده لأن الناس دول عايش معاهم، ووجوده معهم وتواضعه واحترامه وتداخله مع القايل. وكذلك مع العموديات ذاتها،

يعني تسأله عن أي عمودية ينسبها ليك... يعني المسألة لو انتهت.. ليه الإدارة الأهلية دي شالوها، نحن مشينا عميانين، والجفوة دي بتزيد.

وبالنسبة للرعاة أخذت طابع غريب.. يعني الناس ما يلمهم إلا السخن، إلا الحارة، النفوس اتكابرت وما فيش زول بنصح زول، ولو تكلمت يقولوا ليك كذا وكذا. لكن وأكثر من كده الواحد بشعر أن الإدارة الأهلية نظام بتاع ديمقراطية. بعد جعفر محمد علي بخيت عمل انتخابات الشمولية، الناظر بابو اخد أمكن أكبر عدد من الأصوات، أنا ذاتي شاهد ده. فمسألة الإدارة الأهلية... طبعاً نحن ما بنكلم الرئيس النميري نقول ليه لا... لكن هو لو صاح بشعر بتمام بالمشاكل بتاعتنا دي، كان ادّاها اعتبار، إذا كان كوال موجود هناك، والناظر بابو هنا، كان المشاكل انتهت، أنا متأكد جداً.

فرانسيس دينق: تأكيد لكلامك عن بابو، كثير من الوزراء في الجنوب قالوا لي يعني دور عمي الناظر بابو في المؤتمر ده... وأرجع لكلامك القبيل فيما يختص بالنصيحة اللي ذكرها عمي الناظر بابو... نصيحة صديق والده، أن تأخذ دائماً موقف الزول البعيد منك، فقالوا لي إنه فعلاً لو لا موقفك لكان من الصعوبة أن يتفق الرزيقات والدينكا.

بابو نمر: حتى إن واحد يوم قمنا قال لي والله أنت ده المسيح، أنت المسيح.

٣- دينق مجوك.. الجار الصديق

فرانسيس دينق: طيب يا عمي الناظر انت عارف الهدف من التسجيل ده، ومافي لزوم أنا أدخل تاني في كل التفاصيل. وندخل في الأسئلة عن دينق ماجوك وزي ما عارفين معرفتكم بترجع لأيام كا كنتم صغار. لذلك الواحد بتوقع منك الكلام الكثير وكل ما كانت في تفاصيل كل ما كان أحسن. وإذا بتذكر أشياء معينة كأحداث لتدعم حديثك برضه يكون كويس.. أفتكر ممكن تخلي ده طالما قبل كده سجلنا لبعض وقلت لي الكلام ده كله. ممكن تورينا المناسبة اللي قابلت فيها دينق مجوك لأول مرة، والظروف ذاتها كانت كيف؟

بابو نمر: والله، دينق ماجوك ده كان صبي.. وكان في الدقادق بره ومعاه دينق أبوت، وأخوانه بيونق ابو فلج، وهم أخوان أشقاء انا واروب قدر بعض مولدين في سنة واحدة اروب أبو فلج أصغر من بيونق وأخواته ناس اين وابول وأوار ديل أنا بعرفهم دينق ماجوك كان في الدقدق ملاقاتنا كانت ضعيفة، ما دايماً لإننا لما نحن العرب نجي في البحر هنا، هم بيقطعوا الجرف بمشوا جهة بارليل بيغادي، والمقابلات دي ما بتم إلا إذا هو جاء

أبيي لناس أبوه، لكن كان صبي تمام هو لابس لباس الدينكا.. يعني العاج بتاع السن والحاجات السلوك البعملوها في اليد دي يعني طبعاً منكسي لابس لكن يعني المعرفة سنة 1923 هو جاء عندنا في فريقنا في اللو دي أول مره أنا شفته فيها أتاري كان بين أبونا الناظر كوال ووالدي نمر تفاهم ودينق ماجوك كان عاوز يتزوج وبعدين أبوي قال ليه يا الناظر كوال، دينق دا ولدي لما يجي انت أديني خبر عشان أنا أدفع بقر في الزواج ده عشان بعدين زوجته لما تجيب الأولاد والبنات ويتزوجوا أولادي يكونوا شركاء فوق المال بتاع الزواج بتاعهم الكلام ده بيناتم أنا سمعته في الآخر لكن دينق ماجوك لما جاء ساق البقر سنة 1923 نحن كنا مصيفين في اللو جاء راكب جواده ومعاه أربع خمسة صبيان شايلين حرابهم الناس قالوا ده دينق ماجوك ودا كوال، ده دينق ماجوك وده كوال، ودي أول نرة أنا شفته فيها وبعدين الناس الكبار قاموا مسكوا الجواد ونزلوهم وجابوا العنقريب ختوه جنب والدنا، وقعدوا يتونسوا دينق ماجوك من زمان بيعرف عربي لكن عربيه ما كثير، كان بيسمع أكثر مما يتكلم كلام العرب بعدين في العصر هو ومعاه والدنا والجماعه المعاه دول مشوا نزلوا في الرهد تحت في الرقبة في اللو، مشوا محل البقر هناك بعدين والدنا عزل ليهم بقر زي خمسة ستة ما عارف عددهم بالضبط ساقوهن وراحوا ساقوا البقر لزواج المره دي أول مره أنا شفت فيها دينق ماجوك شفته كده ساكت بدون ما يعرف أنا وين.

فرانسيس دينق: جميل جداً. نتيجة للمقابلة الأولى دي أو حتى قبل المقابلة، في حاجات كده سمعتها عنه أدتك انطباع أو فكره عن دينق مجوك ده كزول وانسان كان زي شنو؟ يعني كان عندك أي انطباعات عنه؟

بابو نمر: آ.. أي بسمع من الناس إن كوال أروب عنده ولدين.. ده دينق ابوت، وده دينق مجوك في الصبيان والجماعة ديلاك ما مذكورين.. ناس أروب وبيونق والور ماكير دول كلهم عيال صغار وفي عيال كوال وقت الحكام بجوا في ابيي، وبجوا هناك في المجلس، الاثنين دول دينق ماجوك ودينق ابوت بيحضروا وبعدين بعد وفاة والدنا أنا احتكيت بدينق ماجوك بعد والدنا ما توفى أنا بقيت رئيس، دينق في العمر أكبر مني لكن بقينا أصدقاء في الصيف يجيني في محل مصيفي هناك كان في اللو وكان في النقوك وكان في النقارة يجيني بناسه معاه بنقعد تلاته يوم أربعة يوم خمسة يوم وبيرجع، في الوقت داك كان الناظر كوال ودينق ما كان ناظر. لكن اسمه طلع دينق مجوك ودينق مجوك وهو بيحترم القبيلة كلها، والقبيلة كلها بحبها وبتحبه فأصبح هو ماشي قدام دينق ابوت وإنّ كان في الكجور بتاع الدينكا إن دينق ابوت هو صاحب الحق حسب الكجور.. بعدين في نقطة.. أبونا كوال وأبونا ماجاك بقولوا إن الرئاسة دي بتاعت دينق ابوت لأنه أمه هي المرأة الكبيرة لكن نحن محبتنا لدينق ماجوك، وعلمنا لصلاحيته خلتنا نبحث عشان ما نخلي تكون في رئاسة بدون

أساس.. بحثنا حتى عرفنا إن المرأة أم دينق مجوك كانت أول واحدة خطبت لكوال، ولكن في البداية رفضت الزواج من كوال.. وبعد ما رفضت الزواج شالوا كل البقر رجعوهم ما عدا بقرة واحدة خلوها قاعدة عند أب المرأة.

ومشوا ساقوا البقر في أم دينق ابوت وتزوج أم دينق ابوت فبقت أم دينق ابوت دي المرأة الكبيرة.. لكن على حسب الكجور بتاعهم المرأة أم دينق مجوك ما مطلقة لأن الصداق قاعد.. فالبقرة الواحده اللي خلوها دي هي دي الصداق الباري.. دي قاعدة، الحبل ما انقطع عشان كده نحن عرفنا، ورسلنا جبنا حفور وجفور أكد لينا الحقيقة دي، أنا ورحمه الفريع بعدين قابلنا المفتش وورريناه على أن دينق ماجوك زعيم حقيقي، والحربه لازم تكون عنده لأنه أمه تم زواجها في الأول وبعد ما رفضت شالوا البقر.. لكن البقره الواحدة اللي خلوها دي هي الصداق الأول وموجوده.. بعدين في الآخر لما تاني رضت كوال تم البقر وتزوجها ومشوا شالوها وجابوها فهو زعيم بحق لأن أمه هي الكبيرة.

فرانسيس دينق: ممكن توصف لينا الظروف اللي كنت بتفابل دينق مجوك فيها؟ أو اللي سمعت عنه فيها؟ يعني أي ظروف كانت تجمعكم أو البتخليك تسمع عنه.. أنت الحقيقة بديت قبيل تتكلم لما تمشوا البحر كان بيجيك بعد ما بقيت ناظر.

بابو نمر: بقينا أصدقاء، وأنا في الحقيقة بيني وبينه معاهدة خوة قسم.

فرانسيس دينق: فكرة القسم دي جات كيف؟

بابو نمر: عشان هو راجل أخوي. وكمان عشان بعرف الاشاعة هناك، ان أبونا كوال بفضل دينق ابوت للنظارة، وإن الاشاعة بتقول دينق ابوت، دينق ابوت، وعشان هو عايز يكسبني أكون بجانبه عشان كده عملنا المعاهدة.. الخوه.

فرانسيس دينق: المبادرة منكم ولا في زول كبير جاء ونصحكم؟

بابو نمر: لا مافي زول كبير جاء أنا وهو لما نقعد بجيني نتونس كده وبعدين الناس لما يتعشوا، والناس يفروا أنا وهو مرات نقعد لغاية الساعة اطناشر بالليل بنتونس يقعد معاي تلاته أربعه يوم وبعدين يمشي.. أنا لما أمشي أبيي هناك برضه نفس الشيء هو كمان بيجيني في الدقدق بره بيجيني نقعد خمسه يوم، سته يوم مع بعض نتونس.

فرانسيس دينق: تتونّسوا عن شنو؟

بابو نمر: أغلب ونستنا بدور عن الرئاسة الناظر كوال بقى راجل كبير وعجوز وتقريباً الأوامر بتاعت الحكومة يعني ما بنفذها مية بالمية ونحن عاوزين دينق ماجوك وقلنا يعني زي ناس الخرطوم بيقولوا فلان بلمعوه.. بلمعوه عشان يبقى كده كده ونحن بنلمع فيه لليوم اللي نحن دايرنه فيه..

حتى إن مجاك بيجيني هو مع الناظر بيقول لي يا فلان دينق مجوك ده، الشغل ده كا حقو يا ولدي، الكلام ده خليه الشغل ده ما حقو، ده حق دينق أبوت لغاية ما أنا أقول برضه يا الناظر ده ولدك انت.. وإذا كان بقى عند دينق أبوت أو دينق ماجوك أنت ما خسران حاجه واسه ما حصل شيء ولغاية ما بعدين كوال كان مرض وخلاص زحينا وعندما يذكر اسم دينق ماجوك كان الناظر كوال بيقول ده ما تذكروا اسمه، بتاع العرب، ناظر الأكل يعني زول كريم لما العرب يجو بيضبح ليهم وبيكرمهم، ودينق أبوت ما بدور العرب كلو كلو.

فرانسيس دينق: جميل برضه حنرجع للنقطة دي بعد شوية هل سمعت شيء عن طفولة دينق مجوك لما كان صغير ولحدي ما كبر؟ كنت بتسمع شيء عنه يعني كولد كانت أخلاقه كيف؟

بابو نمر: حسب السمع.. هو أصله يقولوا ليه دينق ماجو[1]، بقت دينق ماجوك وماجوك دي تسميتنا، لكن بيسموه دينق ماجو.. وماجو ده كان عنده كلب صغير مربيه لما يشرب اللبن بيدي اللبن ده للكلب، بقى الكلب زي أخوه سّموه دينق ماجو.. من صغير كده عنده ميزات بتاعت زعامه من قام يعني بيحترم وبيكرّم الناس وكده.

1. بينما ماجو لقب عند الدينكا ماريق إلا أن العرب والدينكا في الجنوب حولوا هذا الاسم إلى ماجوك وهو اسم مدح مبني على لون ثور الابن الأكبر من الزوجة الأولى، وهذا اللون كان يستحقه دينق أبوت لكن مجرد التسمية أعطت دينق ماجوك صفة الابن الأكبر.

فرانسيس دينق: كنت بتسمع شيء طبعاً، ولو إنك تكلمت عن الموضوع ده، لكن هل في تفاصيل ممكن تقولها عن العلاقات بين دينق ماجوك وأبوه كوال أروب ودينق أبوت، مما هم صغار الحقيقة انت تكلمت في الموضوع ده، عن مسألة النظاره وكده.. لكن هل في أي تفاصيل زيادة تقدر تقولها عن علاقة دينق ماجوك مع أبوه مما هو كان شاب لحدي ما عملوا منافسات في النظاره وكده، وعلاقتهم مع دينق أبوت ذاتها كعلاقة شخصية بتاعت أخوان أو بتاعت ناس متنافسين؟

بابو نمر: والله علاقته مع أخوه دينق أبوت ما ظهر حاجة عدائية شخصية بالمره لآخر لحظة وبرضه ما سمعنا أبوه اتكلم معه كلام غير لائق في الموضوع ده بالمرة يعني عايشين كويس كل زول ماشي بفهمه.

فرانسيس دينق: يعني المنافسة ظهرت في الآخر بعد ما كبروا؟

بابو نمر: بعد ما كبروا جينق أبوت أبوه الناظر كوال شافوا إنه دينق ماجوك أصبح يعني معانا نحن حالة واحدة والمفتشين لما يجوا دايماً يجلسوا معنا نحن وهو وشافوا دينق أبوت واقف بعيد شوية فهم خشوا الزول ده إذا كان كوال بقى مافي، الزول ده يستلم الكرسي والرئاسة وما ظهر منهم كلام شين لكن مجاك والناظر ذاته أبونا الكبير كوال بيجوني وبيقولوا يا فلان الكلام ده شنو؟ يا فلان الشغل ده ما حق دينق ماجوك، ده حق دينق أبوت وانت تسوي كلام زي ده؟ الكلام ده كلام العرب لكن

كلامنا نحن الشغل ده حسب العوائد بتاعتنا.. وإذا كان انت خليت العوائد بتاعتنا والله ده بيجيب خراب للبلد وإذا كان تمسك دينق ماجوك غير العوائد، والله ده بيخرب البلد ده كان كلامهم

فرانسيس دينق: لكن اللي كان حصل.. يعني في الوقت داك.. بس علاقة بينك وبين دينق ماجوك وخوه وصداقة، فعندما كانوا بيقولوا الكلام ده، هل قصدهم يعني انت تلمع في دينق ماجوك واللا قصدهم توقف الصداقة البينك وبين دينق ماجوك، بالضبط الحصل شنو اللي خلاهم يقولوا خلي ده لأنه ساكت كنت صديق لدينق ماجوك؟

بابو نمر: أيوه أنا صديق لدينق ماجوك ودائماَ يعني الناس كلهم بيفتكروا يعني فلان صديقه دينق ماجوك والمفتشين الإنجليز دائماً يقدروا كلام فلان.. وما دام دينق ماجوك انطبق معاه هو حيشيل النظاره.

فرانسيس دينق: الشيء اللي ناس كانوا بينتقدوا دينق ماجوك فيه ويكادوا يكونوا أجمعوا في نقدهم لدينق كان موضوع الزواج فماذا كان موقف العرب وموقفك انت بالذات كصديق ليه في مسألة الزواج؟

بابو نمر: والله مسألة الزواج دي، طبعاً حسب العوائد بتاعتهم، مافيش تعداد للنسوان الواحد يتزوج حسب استطاعته المادية وصحته، لكن نحن بنشوف إنه هو تعدى الحد المعقول يعني أنا ما حسبتهن لكن بيقولوا أكثر من مائتين مرأة فكل الناس بيقولوا والله دينق ماجوك ده شنو

مسألة النسوان الكتار ديل؟ وديل بيعيشن كيف وكانت الجزية بتاعت الدينكا ما بتجي كلها وبيقولوا الجزية دي لازم دينق محصلها ومعيش بيها النسوان ديل لأنهن كتار بيأكلن شنو وماهيته كانت قليلة؟ فلازم يعني، الطلبة دي ما بتجي كلها ويكون هو تصرف فيها لصالحة والكلام ده لا أنا جاهرت بيه ولا الحكام الموجودين جاهروا بيه لكن كلام تهم بره.

فرانسيس دينق: لكن أبداً ما تكلمتم عن قصة الزواج ده عندما شعرت إنه تجاوز الحد المعقول؟ ما تكلمتم في المسألة دي أبداً انت ودينق ماجوك؟

بابو نمر: والله أبداً لأنه ما حبيت اتدخل في المسائل اللي زي دي حتى هو ذاته، أنا وهو بنتونس، قال لي يا فلان انت شيخ كبير وتتزوج أربع نسوان بس عشان شنو؟ ليه ما تتزوج زيادة؟ قلت ليه والله زي ما انتم تتزوجوا بدون تعداد، نحن برضه عندنا عدد محدد بأربعه الواحد ما بقدر بزيد عليهن ممكن يتزوج أقل لكن مش أكتر بعدين قال لي ما تعمل استئناف للسيد عبد الرحمن عشان يزيدك؟ قلت ليه السيد عبد الرحمن رقبتة ذاتها ما بيقدر يزيدها لأنه ده فانون بتاع الدين بتاعنا.

فرانسيس دينق: في الحقيقة انت تكلمت في مسألة الزواج ده، وقلت كان بيخلي الناس يتهموه إنه عنده شبه فساد، وربما كان بيستغل أموال الدولة لعيشة العائلة وكده يعني هل كان في ناس بيحسوا بنفس الشيء؟

صحيح انت قلت ما ذكرتم حاجة في الموضوع ده.

بابونمر: لا ما قلنا حاجة.. وانت تتذكر أنا وانت لمن جينا من هناك والعربية خسرت في بابنوسة.. وأنا وانت كنا بنتونس.. انت ولد صغير لكن رأسك كبير مما كنت صغير.. ولما جبنا سيرة الزواج والأولاد وكده.. انت ذاتك قلت لي يا عم فلان نحن ذاتنا بنشوف أبوي في المستقبل حيضيعنا في حرج لأنه راح يخلي ذرية كبيرة، والذرية الكبيرة دي محل ما نمشي تلقى أولاد وبنات من دينق ماجوك ونحن ما ممكن نقدر نمسك ونعيش العدد ده كله العيشة اللي نحن بنرضاها لعايلتنا.. فنكون كده زي محرجين.. بعني في المستقبل هو حيعمل لينا حرج.

فرانسيس دينق: ده الحاصل لينا دلوقتي بالضبط في حواري مع الدينكا وحتى مع العرب طرحت السؤال الخاص بموضوع النساء وكلهم قالوا دينق ماجوك ما كان بسيء لأموال الدولة، وربما كان ده عبارة عن مجاملة لي أنا كابن لدينق ماجوك.. عشان كده كنت بسألهم سؤال آخر.. يعني مصدر ماله كان شنو؟ وهل كان لديه مصادر بخلاف دخله المعروف الواحد يقدر يشير ليها ويقول إنها ممكن تجيب ليه دخل معقول يعيش العايلة؟ يعني مصادر شرعية كان ممكن تجيب دخل معقول يعيش العايلة؟ الدينكا كانوا دايماً يردوا على مسألة الزواج باعتباره كاستثمار، يعني عندما تتزوج والمرأة تنجب بنات، البنات ديل لمن يتزوجن بدخلن بقر من الزواج، وانت كمان تكون عندك صلات واسعة مع الناس نابعة

من الزواج.. وأي بت قريبة لزوجتك لمن تتزوج برضك بتشترك في بقر الزواج.. يكون عندك نصيب في بقر الزواج.. قالوا العلاقات الكثيرة دي ساعدت دينق ماجوك في توسيع دخله، وبالذات لأنه ناظر فأي حق ليه ومن أي قرابة الناس كانوا يستعجلوا يجيبوه ليه تفتكر ده كان يعمي دخل محترم بالنسبة لاحتياجاته؟

بابو نمر: والله، الحقيقة يعني الدينكا يفتكروا إن الزواج بمال كتير يجيب البنات.. والبنات يجيبن المال.. أنا بذكر أخت الناظر دينق ماجوك.. اللي كان أخدها واحد من البنقو.. أبول.. أنا قلت ليها يا أبول، وكان عمي رحمه الفريع، قلت ليها الزول المن بنقو ده قال بدفع ستين بقرة، أنا بدفع سبعين وأتزوجك ضحكت وقالت لي أنت ماك أخوي، كان إنت تزوجتني دينق ما بشيل منك مال يبقى انت ودينق ما لقيتوا مال أحسن أنا أتزوج الزول ده هشان انت ودينق تجيبوا نسوان اخرات، لكن لمن انت تتزوجني دينق ما بشيل منك مال.

فرانسيس دينق: طيب في سؤال تكلمنا فيه تقريباً.. كلنوا بيقولوا إن دينق ماجوك كان قريب للعرب كتير وبيقولوا العرب، وبالذات انت ساهمت في قصة إنه بقى ناظر ممكن توضع لينا بصورة أعمق، انت وضحت لينا كيف إن صداقتكم كانت تلميع لدينق ماجوك هشان يبقى ناظر، لكن ممكن تورينا تفاصيل زيادة عن دور العرب، وبالذات دورك في إن دينق ماجوك بقى ناظر في الآخر؟

بابو نمر: أيوه، كنت أنا وكل العرب الموالين للدينكا هناك أولاد كامل ومزاعنة- بنشعر على أن دينق ماجوك انسان كريم يعني لما يجو هناك كان انسان بيحترمهم وبيكرمهم وبتفاهم معاهم في أي موضوع.. حتى أنا بتذكر يوم داك في واحدين من ابيور والكلابنة ادسوا عصر على جيهة فضل الله هناك.. أنا كنت مافي جاء دينق للمكان ولما جاء قال ليهم يا كلابنة النظاره بي هنا والرجالة بي هنا تمسكوهم الاثنين.[1]؟ لا شيلوا واحدة وواحدة خلوها يا أمسكوا النظاره وخلوا الرجالة، ويا أمسكوا الرجالة والنظاره خلوها لكن تبقى النظاره عندكم والرجالة عندكم ده ما صاح.. انبسطوا جداً من كلامه ده وقالوا نخلي الرجالة بس بس كفانا النظاره فهو الحقيقة لما بقى ناظر، ظننا فيه لقيناه والله، نحن هناك أي زول يجي في المحكمة قدام دينق ماجوك ما يكون عندنا أي شك إنه بيطلع مظلوم من قدامه يعني بدّيه الحق تمام ده شيء يعني نحن متأكدين ما بلقوه من دينق أبوت ولا حيلقوه من من ناس دينق أكنون واللا حكاية من النوع ده.. لكن دينق ماجوك نحن مطمئنين لأهلنا البيجوا قدامه.

فرانسيس دينق: إيه الصفات اللي كانت بارزة في دينق ماجوك سواء كرجل أو كانسان أو كناظر؟ إيه الشيء اللي كان بارز في شخصيته؟

---

1. لتكون زعيماً قبلياً عليك أن تكون رجل سلام وإقناع وليس برجل حربي وعنف وبما أن زعيم المسيرية من الكلابنة، فقد كان رأي دينق ماجوك إنهم يجب أن يبدوا ما يتماشى مع صفة الزعامة.

بابو نمر: والله دينق عنده صفات الزعيم أولاً عادي وكريم وما بخاف الحق إذا كان زول ما مثلاً ما كويس يكلمه وأنا في البحر هنا لمن يكون في أي حاجة واللا كده بين الناس، أنا برسل ليه وهو ذاته بيحيى‌ني وأنا وهو نمشي سوا للمشكلة بتاع العرب دي عشان نحلها والعرب بيقبلوا كلامه يعني محترم جداً عند العرب أنا باخده معي للمشاكل بتاعت العرب عشان نحلها.. كان جاء في المجلد هناك، برضه في أي مشكلة ولا عندي أي غرض، أنا وهو بنركب سوا فوق الخيل وبنمر ناخد سبعة يوم، تمانية يوم في القبيلة بره بخيمتنا مع الناس أي مشكلة أو أي حاجة يعني بحلها معنا بكل أمانة

فرانسيس دينق: بيقولوا الناس إن وجود الدينكا نقوك النهار ده في الشمال أساساً سببه دينق ماجوك يعني لعلاقته مع العرب هل عندك أي معلومات عن نظرة دينق ماجوك للجنوب واحتمال انضمامه للجنوب؟

بابو نمر: والله طبعاً، الحالة بتاعت الدينكا نقوك اللي هم ماريق، والمسيرية الحمر بالذات علاقة قبلي انا وقباله هو، وقبل أبوي وقبل جده أبهاتنا جو لقوا العلاقة دي موجودة ونحن جينا لقيناها موجودة وبتذكر أنا في مؤتمر كادوقلي لمن أنا بتكلم مع أولادنا، بقول ليهم تعالوا، أنتم اسه ليك انت- أبهاتنا خلو لينا بيت ظليل ودخلنا فيه لكن كان في ضي متل ده، أنتم تعلمتم تسدوه واللا تشتتوا البيت تشلعوه فوقنا؟ انتم أولادنا اللي اتعلمتم، نحن دايرين كان في خلل تسدوه لينا، لأن البيت ظليل بنوه

جدودنا وبنوه أبهاتنا ونحن لقيناه وقعدنا فوقه فالعلاقة قديمة بعدين حالتي أنا ودينق ماجوك، يعني معاي والله حالتنا واحده وبعدين دي خلت العرب والدينكا ارتبطوا زيادة بعدين في الأخر الجماعة المفتشين الإنكليز عايزين يمهدوا لفصل الجنوب فقالوا لدينق يعني أحسن تمشي الجنوب، والناس ديل أهلكم وناسكم وحالكم...و...و... ولغتكم واحدة وجنسكم واحد وكلام زي ده وهو ما كان رضيان الكلام ده قالوا ليه تقوم مع العمد بتاعك وتمشي واو تشوف المشألة دي وتشوف الناس هناك عايشين كيف، مستر أوين كان المدير هناك.. مشوا من هنا بعربية أدوهم لفه هناك في ققريال، وأظنهم مشوا أويل و واو جو مقتنعين على إن حالتهم اللي هن فيها دي ما موجودة هناك هم هنا يعني في حالة أحسن مما جوا والله شافوا على هناك قالوا يا علي مبروك مبروك مبروك.. يعني نحن خلاص اقتنعنا إن مصلحتنا في معيشتنا هنا البلد ديك نحن ما بندورها كلو كلو فدينق كان معنا ماية بالماية ما عنده أي شيء لكن اللي يبقى أخيراً..الأولاد يعني دخلوا في التمرد.. فالمسألة دي طبعاً بقت حي ظهري وحي بطني لا بقدر بقول الأولاد مرقوا من يدي، ولا بقدر بقيضهم ولا كده غايتو المشألة بقت ليه صعبة جداً جداً فنحن متأكدين إن الربط ده من دينق ماجوك الربط ده والمحبة الشديدة دي بين العرب والدينكا نقوك نقول سببها الخوه بيني وبين دينق ماجوك

فرانسيس دينق: قبل سؤالنا الأخير، في سؤال بقول لو قارنت دينق

ماجوك مع الزعماء بتاعين الجنوب والزعماء بتاعين الشمال، يعني من ناحيةَ الشخصية ودورها كزعيم، مقارنتك بهم بتكون كيف؟

بابونمر: دينق ماجوك من زعماء الدينكا، بين زعماء الجنوب اللي من قصادنا هناك، من جهة النوير ومن جهة الروينق ومن جهة التوج ومن جهة حجير.. يعني بالمقارنة الفرق كبير جداً جداً يعني دينق ماجوك زعيم تمام يعني مش زي الجماعة دول نحن والله بنعتبر دينق ماجوك في زعماء العرب هنا من الممتازين مش كعامة النظار بتاع القبايل بتاع العرب.

فرانسيس دينق: أين بالضبط سمعت أخبار وفاة دينق ماجوك، ووفاته في تقييمك عملت شنو بالنسبة للدينكا وبالنسبة لعلاقات الدينكا مع العرب؟

بابونمر: والله أنا كنت في الدلنج ونازلين في الاستراحة وأنا عارف طبعاً هو عيان وروّح للعلاج بعدين جانا محمد الباشا واحد كان في الجيش وبالمعاش من أهلنا الحوازمة-، جانا كده بعد الفطور في الاستراحة وقال لينا الطيارة القبيل شفتوها دي يعني أنا سمعت في الاذاعة إن الناظر دينق ماجوك توفي وشالوه بالطيارة مودنو بلده هناك.. يا سلام.. قلنا والله دي خسارة كبيرة ودي يعني حلقة رابطة المسيرية والدينكا وانقطعت.. والحلقة دي دلوقت انقطعت الباب ده بتاع المحّنة دي، لمن دينق ماجوك بقى مافي الشباب دول اللي راحوا قروا هناك في الكنائس في الجنوب الروح

دي عندهم مافي مافي زي روح دينق ماجوك.. ودلوقتي هم حيلقوا الحرية وينطلقوا والبلد حتكون ما كويسة يعني نحن في تصورنا الحكاية دي يوم جانا الخبر لأنه كان واقف في طريقهم.

فرانسيس دينق: أثناء ما انت بتتكلم زي خطر في ذهني سؤال، إيه اللي خلّى دينق ماجوك يكون فريد في وسط الدينكا، سواء الماريق أو بالمقارنة بالدينكا بتاعين الجنوب؟

بابو نمر: والله هو مما قام شاب في الدقدق بيختلف عن بقية الدينكا وتقديره للناس.. من في الدقدق.. وبعدين جاء في المقابلات مع والد، بنتقابل في أبيي هنا وكان شخصية ظاهرة ولغاية ما بعدين شخصيتة دي خلتنا نحن بقينا في جانبه وربنا أدّاه الرئاسة دي.

فرانسيس دينق: كان عندي سؤال بالنسبة إلى الدينكا في عهد دينق ماجوك، لكن باين ما هنا في السؤال ده وهو مقارنة بين دينق ماجوك وكوال أروب، يعني انت عرفتهم الاثنين إذا قارنتهن أيه الصفات الممكن تتكلم عنها بالنسبة ليهم الاثنين؟

بابو نمر: والله الاتنين بالنسبة لقبيلة الحمر، الاثنين يعني ما عندهم حاجة الانسان يزمهم بيها، كوال أروب ذاته بحب العرب وبيقول أنا حمراي وأنا في الحمر كاملي من أولاد كامل لما يجي المعرض، في المعرض البوارق معروفة أولاد كامل اللي فيهم النظاره البيرق بتاع الناظر عنده

عمده أولاد كامل، وبعدهم المزاغنة، وبعدهم بيرق المنامة، وبيرق العدال، وبعدين بيرقَ الفلايتة فكان لما الناظر كوال يجي هو وجماعته الكبار ناس دينق الحكومة دول، وناس أكنون، والجماعة ناس كور ألور، الجماعة ديل بيجوا راكبين خيل والبقية الشباب دول ماشين تحت.. كان بمشي بين الفيارين وأولاد كامل يعني معناه أقرب لينا نحن أولاد كامل من الفيارين كمان لأن في الطابور ده كان الفيارين بعد أولاد كامل طوالي، لكن لمن كوال يجي بكون هو نمره اتنين لأولاد كامل، ويخلي الفيارين وراه.

فرانسيس دينق: لكن برضه لما تجي تقارنهم، كوال ودينق، بالنسبة لقيادة الدينكا وكزعماء للدينكا كيف تكون مقارنتك لهم؟

بابونمر: والله كوال كزعيم للدينكا، ودينق ماجوك كزعيم للدينكا، حسب نظريتي أنا، دينق ماجوك في حاجة تخص الدينكا والعرب يعني ما بميل على الدينكا أكتر من العرب، كلهم قد تلقاها في الناظر كوال، ما بتلقاها في دينق ماجوك ولذلك نحن مطمئنين لأي حاجة تجي قدام دينق ماجوك ونحن مافي، ما بيحصل ظلم لعربي

الإنجليز... القيد الحريري

فرانسيس دينق: طيب يا عمي الناظر، زي ما قلت ليك يوم داك، الغرض من التسجيلات دي وضع كتاب عن الإنكليز طبعاً في كتب كتيرة جداً كتبت عن الإنجليز، لكن كلها بتوري جوانب عن السياسة العامة.. والسياسة المتبعة في الكتب لكن الناحية الإنسانية، يعني ناس بيمثلوا ثقافات مختلفة، وبيئة مختلفة، بيجوا بتلاقوا مع السودانيين، البحصل بالضبط من ناحية العلاقات الإنسانية، ومعرفة الناس ده إنكليزي مختلف عن السوداني، وده سوداني مختلف عن الإنكليزي، يعني الطريقة بتاعت الشغل مع بعض، ومعرفة بعض، والجوانب الإنسانية عندي أسئلة كتيرة، سؤالي الأول قبل ما تقابل أول إنكليزي في حياتك كنت سمعت شنو عن الإنكليز وأفكارك عنهم كانت كيف؟

بابو نمر: والله قبل ما أشوف الإنكليز، وأنا صغير ناسنا الكبار كانوا يقولون للإنكليز الترك. التركاي جاء والتركاي مشى، عشان قبل المهدية

الحكام كانوا أتراك. العرب كانوا بفتكروا الإنكليز ذاتهم ترك.. الإنكليز ما كانوا بحبو كلمة الترك كان واحد قال لواحد إنكليزي انت تركاي، الإنكليزي يقول لا أنا إنكليزي مش تركي.. كحكام أنا بسمع إنه الناس بخافوا منهم بيقولوا بسجنوا الناس وهكذا ده الشيء اللي أنا بسمعوا في ضميري.. والناس يقولوا المفتش ده حاكم وبيسجن الناس وناس يعني صعبين وكده.

فرانسيس دينق: بناء على الكلام اللي سمعته شعورك عنهم كان شنو وهل كانوا بالنسبة ليك إنسانيين واللا بطالين، كان شعورك نحوهم شنو؟

بابو نمر: والله قبل ما أقابلهم وبحسب ما سمعت عنهم، كنت بخاف منهم يعني الجدود يحكوا عن الترك، وحكمهم يعني كان قاسي جداً.. أنا كنت متصور حكم الإنكليزي زي حكم الترك داكما قايل إنه ده نوع تاني ولذلك كنت بعتبرهم قساة زي ديلك اللي قبل المهدية.

فرانسيس دينق: من هو أول إنجليزي قابلته في حياتك وأيه الظروف اللي قابلته فيها؟

بابو نمر: أيوه في يوم تعييني ناظر قبل كده ما كان عندي بيهم صلة أنا كنت في المدرسة وبشوف المفتشين غادي غادي.. كانوا مع والدي ما كان عندي معاهم صلة ولا بجي بجانبهم كان المفتش في أبيي اسمه مستر

كروفورد.. كان بيعتبرني زي ولده بالنسبة لخدمات والدي وصداقته معه ده شعوري أنا يعني بيعطف على كده وبشوفني زي ولده.. نسيت حاجة.. شفت كروفورد ده قبل النظاره.. في سنة 1923 وهو ماشي في المرور جاء في طريقنا والدي سمع بيه ومشى يلاقيه، تعاقبوا هو جاء العصر في الفريق وأنا صغير كده عمري اطناشر سنة وللا كده.. والمفتش جاء قمت مشيت قابلته.. حبوبتي أم أبوي عجوز كبيرة ساقتني ومشينا قابلناه ودّوا العناقريب وجابوا المويه وقعدوه.. وبعدين لمن أنا مشيت أسلم عليه، عندنا في العاده الواحد يسلم على الزول الكبير في ضهر يده وفي كتفه.. أنا سلمت عليه في يده لما سلمت عليه حبوبتي قالت لي هي ده مو أبوك[1]كبير تسلم عليه كده ما تدنقري؟ قال ليها لا، لا نحن الراجل يسلم على الزول في يده ما بسلم عليه كده.. دي أول مره أقابل فيها إنكليزي والكلام اللي دار يا هو ده.

فرانسيس دينق: طوال وجود الإنكليز في السودان منو كان أقرب إنكليزي بالنسبة اليك؟

بابو نمر: كان مستر بريدن مفتش البقاره. كردفان كان دائماً فيها ثلاث مفتشين.. الباشمفتش في النهود ومعاه المفتش التالت.. والمفتش التاني في أبوزبد، ده بتاع البقاره بعد ما غادر مستر كروفورد جاء مستر بريدن أنا كنت ولد صغير لكن كان بيقدرني، يعني شخصية ليها مستقبل وكده يعني ما يعتبرني ولد ساكت مستر بريدن قضى أيامه وفات وهو أكثر زول

1. لفظ احترام للكبار.

احتكيت بيه بعدين مستر روبرتسون ومستر هندرسن وموريسون مستر بريدن جاء قبل مستر هندرسن ومستر موريسون ده مات في الخرطوم.. روبرتسون كان باشمفتش كردفان وكان بيجينا كثير، ولي بيه صلة قوية.

فرانسيس دينق: تعريفك للعلامة القوية يعني شنو؟ لما تقول كانوا قريبين، واكتر ناس يقدروك وانت شعورك نحوهم عميق وكدا، ايه طبيعة العلاقة بيناتكم؟

بابو نمر: طبيعة العمل كناظر، المفتش الإنجليزي لمن يجي أول زول كان يقابله اللي هو الناظر إذا كان عنده أي حاجة وفي أي شيء يشأل الناظر، وأنا بعتقد على حسب تجاربهم- يعني تقديرهم جاي حسب اعتقادي- إني أنا ما بكذب عليهم، ولذلك كلامي دايماً مقدر عندهم.

فرانسيس دينق: الناس ديل كانوا طبعاً متزوجين؟

بابو نمر: مستر بريدن لما كان معانا ما كان متزوج، ومستر هندرسن تزوج في الآخر، مستر موريسون ما كان متزوج، مستر روبرتسون متزوج.

فرانسيس دينق: الحقيقة قصدي من السؤال ده عشان لو كان متزوجين إلى أي مدى كان شعور نسوانهم، هل كانوا مندمجين في المجتمع السوداني ومتمشين مع الوضع ولاغريبين؟

بابو نمر: نسوانهم والله كويسات جداً جداً يعني لمن يجن بره عندنا

في الفريق، يمشن الفريق بتاع البيوت، يشوفوا الأولاد والنسوان، ويتونسن مع النسوان الكبار يعني زي مندمجي كده الواحده ما بتشوف نفسها زي حاجة غريبة من الناس.

فرانسيس دينق: في جزء من سؤال ما متأكد أسأله كيف، ومتعلق بالنسوان وهو سؤال حساس كيف كان شعور السودانيين بالنسبة للانجليزيات كنسوان وهل كان بيختلف من شعورهم بالنسبة للنسوان السودانيات؟

بابو نمر: والله أنا ما عارف شعور الناس كلها أنا بشعر على أنهن نسوان لكن في معاملتهم كده الواحد ما يشك على إنه في أنوثة لكن الزول ما بنظر ليهم زي ما بنظر للسودانية وكده أنا ما بنظر ليهن كده يعني الواحد لما يشوف امرأة سودانية يعني بنّظر ليها نظرة.. أنا شخصياً ما بنظر ليهن النظرة دي أبداً لأنهم ذاته، يعني المسائل دي ليها حاجات.. يعني العيون والقلوب ليهن حاجات بدلوا اللسان المسألة دي ما موجودة مثلاً فيهن لكن موجودة مثلاً في غيرهن.

فرانسيس دينق: والله تعبير جميل تخلصت من سؤال صعب خلاص هل شعرت بأن شعورك نحو الإنجليز تغير كلما عرفتهم كويس؟ يعني من أول مقابلتك ليهم وبمرور الزمن هل شعرت بتغيير في اتجاهك نحوهم واتجاههم نحوك ونحو السودانيين؟

بابو نمر: والله المفتشين القدام كان سلوكهم مع الناس ومعاملتهم مع الناس شديدة خلاص لكن المفتشين الأخيرين دول نقول ما عزّلوهم تعزّل مثل الأولين ديلاك، الأونيين الظاهر بعزلوهم عزل وآخر شيء أظنهم ما قعدوا يعزلوا.. نكتفي كده والزول التاني يفسر.

فرانسيس دينق: هل تتذكر أي أمثلة لأشياء معينة حصلت ممكن تضرب بيها المثل للعلاقات بين السودانيين والإنجليز إذا كانت حاجات كويسة أو حاجات بطالة، يعني لو في أي حاجة حصلت تدل على طبيعة العلاقات سواء كانت حسنه أو العكس؟

بابو نمر: مستر جيمس لمن أول نقلوه جابوه لينا من النيل الأبيض كان مشهور إنه رجل شديد أول ما جاء في المجلد أنا طبعاً كرئيس قابلته ونزلناه في الاستراحة وجبنا المويه وقعدنا نتونس كان أول كلام بيني وبينه قال لي أنت تفتكر أحسن المفتش يبقى شديد واللا يبقى مسكين شوية؟ أنا بقول ليه المفتش أحسن يبقى مسكين شوية ما يبقى شديد قال ليه؟ قلت لية هو مفتش إنجليزي ويبقى شديد.. الناس ذاتهم بخافوا منه.. أي واحد نسأله بخاف ما بديك الحقيقة وبيحاول يتخلص منك ويفوت وانت بعدين بتبني سياستك على حاجات ما صحيحة بتاعت خوف فالمفتش لازم يكون بارد كفاية جداً كونه مفتش إنكليزي لكن يبقى حار الناس ببقوا ما صادقين، بيكذبوا قال لي والناظر؟ قلت ليه لازم يبقى شديد قال لية؟ قلت ليه عشان الناس بيعرفوه أمه فلانة وأبوه فلان ما بدوه التقدير

ده لكن لمن يبقى شديد بيعمل لنفسه مركز عشان يقدر يمشي عمله ضحك.. أول كلمة قالها أنا شديد الناس البيحملوني قليل قلت ليه الله يجعلنا منهم دي أول كلمة قالها لي.

فرانسيس دينق: في علاقتك مع الإنكليز هل كانوا بيقارنوا بين الناس.. كانوا دايماً بيفرزوا بين الناس، يعني مثلاً هل بيقارنوا بين العرب البقاره والجلابه ويقولوا النظار الحمر كدا كدا والدينكا كدا كدا؟

بابو نمر: ما من طبعهم بفضلوا ناس على ناس

فرانسيس دينق: هل كان اعتبارك للإنكليز كناس متساويين معكم واللا أسياد؟

بابو نمر: والله شعوري أنا، هم حكام وأسياد لكن السيادة بتاعتهم ناعمة ما خشنة يعني الواحد ما بيشعرك على إنه هو سيد لكن انت براك بتعرف وضعه شنو وهم ما بينظروا ليك كأسياد هم كحكام وكموجهين هم في معاملتهم كحكام وكمرشدين للناس انت تشعر بسيادتهم.

فرانسيس دينق: ده يقودنا للسؤال، لما كنت بتحس إن الإنجليز هم حكام وكده هل كنت بتحس بأنهم بيسيطروا عليكم أو بيوجهوكم أي توجيه؟

بابو نمر: لا، الشيء اللي أنا بشعر بيه هم مسألة أنهم حكام وأسياد ده

شعور الانسان نفسه لكن هم معاملتهم كحكام وموجهين وهم ذاتهم الواحد إذا وجهك بوجهك بلباقة ومش بعنف زي كأنك انسان ما بتفهم واللا كده.

فرانسيس دينق: كنتم بتشعروا أنهم بيحموكم من حاجة؟

بابو نمر: والله الحماية دي الواحد يقول يعني كأنه في حاجة.. الحماية دي أنا ما شايف في حاجة جايانا وهم يحمونا منها لكن إذا كان في أي عدو جايي من بره السودان طبعاً ده واجبهم هم بيحموا الامبراطورية مش نحن لكن مافي عدو.

فرانسيس دينق: طيب الخير في وجودهم كان شنو؟

بابو نمر: كان في خير في وجودهم والله لولا أنهم كناس مستعمرين، عندهم علاقة ومعاملة أحسن ما يكون الواحد ما بزعل من معاملتهم لكن زول يعني كمستعمر وجاء دخل عليك بالقوة، المسألة دي أي انسان ما بتشفيها لكن كمعاملة الواحد ما بيشعر إن الناس دول بطالين ابداً.

فرانسيس دينق: متى شعرت لأول مرة إن الإنكليز حيغادورا السودان؟

بابو نمر: أول قيام الحركة السياسية أنا شخصياً وأمثالي برضه في الخارج بره بنقول الإنجليز دول ناس بس تراهم قاعدين يمرقوا في خمسطاشر سنة واللا بعدماية سنة.. نحن ما مفكرين في سنين معدودة يغادورا فيها

غايتو ناس قاعدين حكام، وترى نحن ناس قاعدين لكن عندما قامت الحركة السياسية، وأول مره قام المجلس الاستشاري في الأربعينيات الواحد شعر على إنه أصبح الجراد في البخسة قعد يتحرك الجراد كله من البخسة حي وتوا شعر بالحركة كله قعد بيجي مارق رأسه وبيدخل هنا.. أنا كنت عضواً في المجلس الاستشاري وكنت عضواً في الجمعية التشريعية وفي جلسة المجلس الاستشاري في قصر الحاكم العام- القصر الجمهوري اسه- بعدين بتذكر الحاكم العام قال في خطاب الافتتاح أن السودان بعد عشرين سنة ممكن ياخد الاستقلال أنا ضحكت بدون ما أشعر وشعرت بارتياح.. على إنه بعد عشرين سنة بس زي ما قلت قبيل ما كنت مفكر إن الإنكليز بعد عشرين أو مائة سنة يطلعوا لكن ما دام بعد عشرين سنة نبقى أحرار زيهم كده، أنا انبسطت جداً.

فرانسيس دينق: الحقيقة برضه السؤال التاني ده يشمل نفس موضوع الحركة السياسية. ممكن تدينا فكرة عن الحركة السياسية أو الحركة الوطنية ورأيك فيها لما قامت، وأول مرة تجربتك الشخصية مع الحركة الاستقلالية؟

بابونمر: الحركة الاستقلالية أول ما قامت أنا كنت عضو في مجلس المديرية. والمديريات كانت كلها عندها أعضاء، وكان المجلس الاستشاري لشمال السودان، بعدين في مجالس المديريات، كل مجلس انتخب تلاته من أعضائه ليكونوا أعضاء في المجلس الاستشاري. فكنا في المجلس

الاستشاري هنا. بعدين والحركة السياسية قايمة الأحزاب ما كانت كثيرة. كان الأشقاء بزعامة أزهري، وحزب الأمة بزعامة السيد عبد الرحمن ورئاسة السيد الصديق. الحركة قامت لاستقلال السودان. وكل طرف بيشوف طريقه ده أصح لاستقلال البلد. نحن في حزب الأمة بنشوف أن الطريق اللي ماشين فيه مع الإنكليز، يعني بخطوات، ناخد استقلالنا بالتقسيط شويه شويه ده أضمن، ما دام الإنكليز عندهم القوة ونحن ما قادرين نلزمهم. هم قاعدين في رجولنا ننزلهم ونرميهم غادي كيف؟ لكن نزحف ليه شويه شويه من خلق، أنا بجرّه، كل ما تحرك أنا بجر خلقي... يعني خلاص خلقي لمن أنا جبدته أنا ممكن أقوم. لكن كان قاعد فوقه وقمت بشرطه، لأنه قوي، ما بقدر أقوم بيه لكن ما دام بزح شويه شويه أنا بخلي بالي لغاية ما أجر في خلقي شويه شويه. ونحن بنعتقد الطريق بتاعنا بالمؤسسات دي.

الإنجليز قالوا مجلس استشاري ياخد تلاتة سنين. بعدين جمعية تشريعية تاخد تلاتة سنين. بعدها يكون في حكم ذاتي. وبعد كده يكون الاستقلال لو الأمور مشت طبيعية وكده. ونحن ناس حزب الأمة بنشوف الطريق ده أسلم وأضمن الطرف الثاني نحن لا نتهمهم. أنا شخصياً ما بتهمهم كخونه. لا أنا بقول هم بيفتكروا أن الطريق بتاعهم هو أصح... المصريين، ده حسب تعبيرهم- المصريين ضعيفين. فإذا كان حقك مسكه الضعيف ممكن تجره منه، لكن الناس الإنكليز دول أقوياء. حقنا ما بنقدر

نجره منهم. التعابير دي نحن بنسمعها من الأشقاء. لكن أنا ما بقول هم ما مخلصين إن السودان يستقل... لكن بطريقتهم الماشين بيها نحن بنشوفها ما صحيحه. الزول كان داير يحارب يحارب مرة واحدة. وما يحارب مرتين. الاثنين مستعمرين وشركاء في السودان. نختهم جبهة واحد ونشيل حقنا منهم. لكن أنا أحارب ده براه وأسلم نفسي باختياري لهذا وأقول ليه أنا معاك، وبعدين أحارب حرب تانية؟ دي ما بتجي. أخير أنا اختهم الاثنين جبهة واحدة وأحاربهم مرة واحدة، وبعدين قريب باخد حقي. ونحن بنقول طريقنا أصح وهم يقولوا طريقهم أصح. الحقيقة بعدين لما بقينا في الآخر وجدناهم –لما لقوا الفرصة والإنكليز هنا مشوا معانا وصدقوا معنا وعدهم– جونا راجعين. لو خونه ما كانوا جوا راجعين. اجتمعنا كلنا كسودانين ووحدنا كلامنا واخدنا استقلالنا. المجلس الاستشاري كان تلاته سنين. وبعده وأخدنا مؤتمر، والمؤتمر عمل لجنة من المجلس الاستشاري تدرس السودان ككل وبكون في جمعية تشريعية، ولجنة ثانية تدرس عشان تشوف إلى أي مدى اشتراك السودانيين في الحكم.

فرانسيس دينق: الإنكليز اللي كنت بتعرفهم كويس شعورهم عن الحركة الوطنية والحركة الاستقلالية كان شنو بالضبط، ورد الفعل بتاعهم كان شنو بالضبط.

بابو نمر: زي ما أنا ذكرت قبيل هم إذا قيدوك بقيدوك بحرير ما بقيدوك بجنزير. هم زي الواحد بيشعر أن الحركة الاستقلالية ما مرتاحين

ليها أبداً، لكن ما بصرحوا بكلام شين. الكبار اللي هنا في القمة ناس السكرتير الإداري ماشين معانا. زي جمعية تأسيسية وزي ده مجلس استشاري وبعدين، بعده جمعية تشريعية وبعدين حكم ذاتي وبرلماني وكده. وبرلماني وكده. الكبار هم ماشين بالسياسة دي. طبعاً البره، نحن بنشعر أنهم ما راضين بالتحديد ده ويطلعوا من البلد. والدليل على ده أنه لما أعلنا مثلاً تصويتنا للحكم الذاتي.

أنا رجعت للأبيض والمدير كان هاكسويرث وهو راجل كويس وبيحبني جداً، لمن أنا أجي عند الباشكاتب، ويقولوا ليه فلان جاء هنا، بيجيني هو ذاته بيسوقني لمكتبه. لمن أنا تميت الجولة الكبيرة دي وصوت للحكم الذاتي ورجعت، رسل لي قال فلان يجيني. ومشيت ليه. سلم عليَّ من غادي للتربيزة. أنا عارف رقبتي والزول عورته بيعرفها، طوالي قال لي أنتم صوتم يا فلان للحكم الذاتي. الحكم الذاتي ده شنو؟ أنا قلت ليه الحكم الذاتي ده نحن ما بنعرفه. نحن بنعرف أما مملوك أو حر اتنين بس. لكن أنتم قلتم لينا في حاجة اسمها حكم ذاتي، تاخدوا حريتكم بالتقسيط، الخطوات دي قلتوها لينا أنتم، تجي تسألني منها أنا؟ بعدين قال لي تمشي تشرح للمسيرية كيف؟ قلت ليه حسب فهمي اللي فهمته هناك وصوت في جانبه بشرحه ليهم بطريقتنا الخاصة. قال لي المفتش اسه ضرب لي من النهود قال الناس طيبين... كل المسيرية كويسين، والعرب في البحر كويسين... قلت ليه الحمد لله. فالواحد بيشعر على أنهم غير

مرتاحين للحركة السياسية، لكن طبعاً فيهم واحدين شويه عندهم ضيق صدر. وضيق الصدر بيخلي الواحد كده بمرق شويه وبعدين بيتراجع. زي اسه ده كلامه ده ما مرق، لكن بعدين تاني رجع.

فرانسيس دينق: لما أتضح أن الإنكليز حتماً ماشين، يعني في المراحل الأخيرة تقريباً، هل لاحظت في اتجاهم تغيير نحو السودانيين، يعني رد الفعل كان شنو؟

بابو نمر: لمن خلاص هم قطعوا الشك ماشين معاملتهم ما تغيرت. والله ناساً كويسين لغاية آخر لحظة نحن عندنا مفتش اسمه تبسي[1] في النهود، لغاية آخر يوم عفشه في العربية هو قاعد المكتب يكتب، وباقي الدوسيهات التي لم تنتهي شالها معه. وركبنا كلنا قدمناه من الفوله ولغاية مرقنا هناك، وعملنا صوره معاه وأديناه مع السلامه مع السلامه. جاب باقي الدوسيهات كملها في المديرية هنا وسلمها وفات.

فرانسيس دينق: ما هي الظروف التي فارقتم فيها الناس اللي كنتم بتعرفوهم كويس، أصدقاؤكم والإداريين اللي كانوا معاكم، ممكن توصف لينا الظروف ذاتها اللي قاموا فيها ومشاعر الناس السودانيين والإنكليز ذاتهم؟

بابو نمر: لمن خلاص ماشين بلدهم... هم تشعر الواحد لمن يودعهم زي زول فارق أصدقاء. يعني ما في زول متأسف يفارق ناس عاش معاهم

---

1. آخر مفتش إنكليزي لدار المسيرية- مركز الفولة.

مدة كويسه وكده. يعني مع ريدتنا للاستقلال، لكن الواحد كصديق وراجل عاش معاهم مدة كويسه وما حصل بيناتهم أي شيء الواحد بيشعر بأسف يعني مع حبنا لاستقلالنا. مش حب المستعمر لكن حب الناس كأصدقاء.

فرانسيس دينق: هل استمريت في الاتصال مع الإنكليز اللي كنت بتعرفهم هنا في السودان وما هي الوسيلة، كتابات واللا زيارات واللا كيف؟

بابو نمر: والله عناوينهم طبعاً هناك نحن ما بنعرفها. لكن أنا رحت سنة 1953 افتكر للكورونيشن، للتويج. أنا كنت من ضمن الناس اللي من المديريات. أنا كنت ممثل لكردفان. مشينا حضرنا التتويج هناك. بعدين كان في احتفال كده في بيت السودان. كل المفتشين القدام بتاعين المعاشات وكده حضروه. كلنا اجتمعنا في محل واحد بعدين مستر لامبن اللي كان مدير في دارفور أخيراً، فصيح، وكان معاه لورد تاني، كان واقف لكن ما بيعرف عربي، وواحد اسمه ديفيز كان مفتش عندنا هنا، هو نفسه قال لي لما أنا طلعت من بلدكم أنت عمرك عشر سنين. الثلاثة دول واقفين... مستر لامين لوّمني، قال يا فلان أنتم تقولوا ما عايزين الإنجليز. تقولوا لينا امشوا تطردونا، يعني نحن ما خدمناكم؟ نحن ما عملنا حاجة كويسه في السودان؟ قلت ليه لا، يا سلام أنتم عملتم حاجة كويسه جدا في السودان، والشيء اللي عملتوه في السودان نحن ما بننساه. أنتم عملتم

كل حاجة كويسه ولولاكم أنتم الاتفاقية بتاعت سنة 1899، المصريين قالوا السودان حقنا... أنتم قلتم لا...السودان زي الولد الصغير أنتم ونحن نتضامن في تربيته لغاية ما يقدر يحفظ حقه ويمسك شغله براه نديه شغله. نحفظه ليه. حفظت لينا أنت. اخونا جارنا ده قال ده حقه. لكن أنت قلت لا، أنا قبيل دخلت معاك في اتفاق تربية ولغاية ما يبقى يحفظ حقه نديه ليه. لمن عملت التعديل سنة 1936 برضه هم كانو طمعانين لسه فينا. أنتم يا الإنجليز أبيتم وحفظتم لينا حقنا. حقنا ده اسه نحن لمن قلنا لكم عايزينه... لا نحن ما درنا شيء أكتر من الشيء اللي أنت حافظه لنا. أنت حفظت لينا حقنا وقلت لما نحن نوعى. ونحن شعرنا على إننا نحن خلاص استحقيناه، وإننا حقنا بنقدر نمسكه، وأنتم قلتوا لينا لا ما بتقدروا تمسكوه. أنا وأنت متغالطين في الزمن. وما دام متغالطين في الزمن حنتنفق يوماً من الأيام. أما اخونا المصري بيقول أنا جزء منهم. ده بيغالطني أنا ذاتي. قال حقه. فده أنا معاه ما بتفق. لكن أنا وأنتم مختلفين في الزمن. أنا بقول استحقيت وأنت بتقول لي أصبر شويه. بيجي يوم بنتفق. لكن أنا لمن أخد حقي، اسه فاقد الشيء لا يعطيه. أنا ما عندي شغل بقول بدورك أنت بنفعك بشنو؟ لكن لمن أمسك حقي، واسه أنتوا ماشين معاي كويس... بعدين الزول العمل لي معروف ما بنساه، كانت أنت وكان غيرك. العمل لي أنا ما بنساه. لكن اسه أنا ما عندي شغل.

بعدين اللورد التاني سأل مستر لامين بعد أنا تميت كلامي. يوم

سأله قام ترجم ليه كلامي. بعدين عاين لي قال: «ييس» ييس». ما بعرفه في الترجمة قال ليه شنو لكن أظنه ارتاح للترجمة.

فرانسيس دينق: مستر لامبين كانت طريقته زي هزار واللا جد جد؟

بابو نمر: والله كلامه زي فيه لوم شويه، أنا ما بقول هزار. يعني قصده نحن ما حفظنا المعروف. كأنما نحن زول عاملنا طيب وما عاملناه معاملة كويسه. لامبين ده كان مفتش في دارفور وأخيراً بقى مدير في الفاشر.

فرانسيس دينق: لما زرت إنجلترا أيه الانطباعات عن البلد والناس بصفة عامة؟

بابو نمر: والله شعرت على أن الإنجليز دول شعب طيب وراقي جداً ومجامل. يعني الواحد كان ماشي في الشارع ما بشوف ناس واقفين ساكت واللا مجمعين وكده. كان لمسك إنجليزي يقول «سوري»، وكان أعطاك شغل بيقول «ثانك يو»، وكان شال منك حاجة بيقول «ثانك يو» الاسانسير البيطلع بينا فوق، العامل بتاعه بيقول «ثانك يو». أنا قلت في حاجات في إنجلترا ثلاثة زي الباقيات الصالحات. الواحد لمن يصلي بيقول سبحان الله والحمد الله والله أكبر. هناك ثلاثة، «بليز وثانك يو وسوري» الثلاثة دول مستعملات على طول الوقت وكثيرات جداً.

العسكري كان سألته من أي حاجة لا بيكورك ولا بيزعل، بمشي

معاك قدامك ولا بيباريك، بيمشي معاك لغاية ما يوصلك مكانك اللي أنت شايله ده البوليس اللابس الطواقي الكبار. ناس راقيين جداً وطيبين خلاص. فالواحد بيشعر على أن الإنجليز هنا واللي هم أخلاقهم هادية وما بيشعروا الزول بسيادة طالعين من العنصر الطيب ده. أدب... أدب.

فرانسيس دينق: هل شعرت بأنه هناك تغيير بين طبيعة الإنجليز اللي كانوا هنا واللي هناك في إنجلترا، أو بين الإنجليز اللي كانوا هناك ومشوا إنجلترا... هل وجدت تغيير؟

بابو نمر: الآداب والأخلاق والمجاملة هي هي، لكن هنا إذا كان في حاجات شويه، فدي طبيعة الوظيفة. الإنسان إذا كان بيعمل مع ناس، حسب مستوى الناس في حاجات بتخلى يضطر عشان يبقى خشن شوية بحسب الوظيفة. فغير الوظيفة ناس طيبين خلاص.

فرانسيس دينق: الإداريين اللي كانوا هنا وجدتهم هناك كيف وشغالين شنو؟

بابو نمر: والله اللي لقيتهم أنا... في زمان واحد اسمه مستر قلان كان الحاكم العام هنا. تقابلنا يوم التتويج في المنصة قصاد قصر بكنجهام، وروبرتسون بره. مستر بريدن لقيته مدير إدارة في أكسفورد. ولقيت واحد نائب مدير اسمه كنج دن، برضه في مدرسة اسمها ايتون بتاعت أولاد الأشراف، وأولادهم كلهم بيلبسوا أسود (وهنا) زي الطير البيأكل الحوت

داك... ده لبس أولاد الأشراف يعني اللوردات. وبريدن مدير إدارة في قسم في الجامعة. وطبعاً في سبعة وعشرين كلية في اكسفورد زي ما أنت عارف. روبرتسون عزمنا في بيته، وكان في آخر إجازة ليه من إنجلترا قبل نقله. ولقينا عنده بيت صغير. أودتين وصاله، وفوق برضه أودتين وصاله. ولقينا عنده بطتين وشجر صغار ونجيله كده. بعد ما شربنا الشاي قال دي المشروع بتاعي. والبط قال ده المراح بتاعي. وزفي بيت قديم كده مكسر قال نحن اسه كسرناه عشان نعمله قراش للعربية. هو راح بعربية من هنا (سكند هاند) لأنها من هناك جديدة غالية. مستر تبس... لقيات في نفس البرنامج، بابو يوم كذا حيزور اسطبلات الحكومة وحيقابل مستر تبس وقرينته بيشيلوا فلان بيروحوا بيتهم هناك، يبيت معهم وبكره يجي ده البرنامج كده.

فعلاً في اليوم ده ذاته بيوزعونا، طبعاً كل شله كده بودوا معاها مفتشين ومن بتاعين الإجازات اللي هناك عشان الترجمة. مشينا اسطبلات الحكومة وورونا الخيل، وورونا البقر بتاعات اللحم وبتاعات اللبن. وبعدين مشينا في محل في لكنده تغدينا، ولقيت مستر تبس وزوجته هناك.

باقي الوفد رجع لندن. وأنا شالوني مشوا بي غادي. مشينا كدى تراب ما قريب أبداً. لكن شنو نمشي كدى نلقى حجر الدرب مو عديل، كان ادَّلي عديل قريب خلاص. لكن زي فرقة الخرطوم دي نلف لحد ما ورحنا في بيتهم في محل اسمه (سسكس). ولقينا شنو؟ بيتهم في رأس الحجر فوق. ده بيت أم البنت. لكن أبوه هو قسيس رئيس في كنيسة.

كان عيان ومحموم. بكره مشينا سلمنا عليه. بعدين بتنا في بيت المرأة مع أمها وعملوا عزومة عشاء. يعني عندهم ضيف جايي. يعني عزموا أخته وزوجها وصديقة زوجته وزوجها، وفي اتنين تانين.

زي تكريم لينا نحن. بعدين بتنا والصباح أخدني في عربية مشينا زرنا أبوه. أبوه عنده سرايا كبيرة خلاص، لكن أظنها قالوا تبع الكنيسة، ما حقته. لكن بيت أبو المرأة في الجبل فوق. في الوقت داك هو كان في إنجلترا في إجازة وما نقلوه من السودان.

فرانسيس دينق: طيب العمل اللي لقيت الإنجليز اللي كانوا هنا شغالين فيه، كنت متوقع عمل زي ده واللا لقيته أقل من المستوى؟

بابو نمر: والله نحن قلنا.. طبعاً هنا كانوا في بلاد مستعمره والشيء اللي وضعته في راسي أنهم لما يرجعوا بلدهم ما بلقوا نفس المناصب دي. لكن لقيت مستر ميل- كان مفتش في النهود لقيته في بيت السودان عنده وظيفة[1]... ولقيت واحد تاني أكبر من مستر ميل ومستر ميل نائب ليه- نسيت اسمه وده كان قبل السفارات.

فرانسيس دينق: بعد الإنجليز ما غادروا السودان وكان عندك اتصال معهم هل شعرت أو حسّيت بأن آراءهم واتجاهاتهم عن السودان أو السودانيين تغيرت؟

1. وكيل السودان في لندن.

بابو نمر: والله تاني ما لقيتهم. اللي بيجيبوهم واحد واحد كده، يعني ناس حفروا فنيين وفي شنو... الحفر بيجيبوا ليه أبان ضلافات اللي بيسموهم التليان ديل. والإنجليز بيجوا واحد واحد... قليلين، لكن قاعدين في ظرفهم ولطفهم داك. العرب لما يشوفوهم بيقولوا هي الإنجليز دول هم ذاتهم. أول مفتش سوداني غيَّر المفتش الإنجليزي... محمد إبراهيم عبد الحفيظ...جاء راح البحر. راح أبيي وجاء وفي الطريق لقى عرب، بعدين الخفراء بتعينهم مع ناس العالم. وبعدين قالوا: «عمي زيدان تعال سلم على المفتش». الشايب حاطي عصاته في أيده وماشي، قال للمفتش: «طيب يا ولدي»؟ قال ليه: «نعم». قال: «المفتش وينو»؟ واحد قال ليه: «ده ده» قال: «أنت المفتش يا وليدي»؟ قال: «نعم» قال ليه «سموك شنو»؟ قال: (سموني محمد إبراهيم عبد الحفيظ» قال ليه: «من الله ما خلقنا مفتش سموه محمد ود إبراهيم ما سمعنا بيه».

فرانسيس دينق: عندي سؤال عام عن الحاجات اللي بتريدها في الإنجليز، ولو في حاجة ما بتريدها، ولو في حاجة عجبتك فيهم واللي ما بتعجبك فيهم؟

بابو نمر: والله النصيحة غير أنهم أسياد. بكل شغل كدى ما بيعجبني فيهم، ما في أخلاقهم، معاملتهم، صدقهم، يعني كل شيء جميل في نظري، لكن الاستعمار طبعاً... الطيره اسه كان قبضتها وختيتها في القفص وفيه حب وشنو، كان لقت مرادها ما بتطير؟ كان ترقد جيعانه حلو

ليها. فأنا في نظري معاملتهم وأخلاقهم وسلوكهم وكل شيء كله كويس. يا ناس أكان النفس بتدور الاستقلال، وإذا كان في حاجات كده... والواحد بيقول... وأنا بفتكر أن الإنجليز مخلصين لأنهم في نظري أنا كسوداني، يعني أقول الإنجليز مثلاً ما كويسين؟ لا، أنا أقول الإنكليز ناس مخلصين. لو هم مستخدمين عندنا أنا أقول ما مخلصين. لكن هم مستخدمين للأمبراطورية بتاعتهم... وأي حاجة بيعملوها لصالح أمبراطوريتهم. وأنا بقول ده أخلاص. وإذا كان في أي خشونة في أي حاجة، فدي عشان العمل وعشان الوظيفة اللي الإنجليز جوا من أجلها من هناك. فأنا بفتكر ده أخلاص للإنسان المخدم.

فرانسيس دينق: مما قابلت الإنجليز.. وأظن زي ما قلت كان عمرك تلاطاشر أو خمسطاشر سنة، وشعورك ده عنهم مستمر كده واللا حصلت تغييرات في الطريق؟

بابو نمر: والله ما شعرت بأي تغيير. بس في واحد مفتش، ما في داعي لذكر اسمه.. يعني بدّي صورة مش كويسه. ولولا معرفتنا للناس اللي قبله وكده، الواحد يقول الإنجليز دول ناس بطالين. لكن نسبة للقبلة ما أديناه اعتبار.

فرانسيس دينق: آخر سؤال يا عمي الناظر... عايز كلمة عامة عن الإنجليز. تقييمك ليهم، وخاصة علاقتهم بالسودانيين.

بابو نمر: والله زي ما قلت ليك قبيل أنا من هم قاموا انقطعنا منهم... الملكة كان جات في الأبيض وأنا كان عندي الميدالية بتاعت زعماء أفريقيا الذهبية دي، وبرضة كان عندي النيشان اللي فيه رأس الملكة لمن مشينا التتتويج.. لما جات شافت النيشان مسكت فيه ترطن... عاد أنا ما بعرفها قالت شنو وأظنها عرفت الزول ده (مثل الشيخ) وكده. لمن مشينا المطار بالعربيات وكده، الشعب في الأبيض ما خلانا نصل الكراسي المعدة للناس الكبار ونقعد فيها. الشعب قفل عليها كده تقول يبلعها والله.. وطبعاً أنا بقول ليهم ما قلتو، بنريدها نحن بس زعماء العشائر. نحن بنشوفها من بعيد لأن الناس ملوا المكان بيننا وبينها. وهي اللا بتضحك ساكته ومبسوطة من استقبال الناس ليها... ما زعلانه من الكبسة دي.

فرانسيس دينق: والله يا عمي الناظر الحديث ممتاز، وما في شك مهم جداً للكتاب وإن شاء الله تصلك نسخة منه.

بابو نمر: إن شاء الله، وخليني أقول ليك حاجة تانية.. العصا ما فيها محلات كده خشنة بدّل الخشن بالسكين بربره. الشغل المولايق كله بربره... خليه عندك نضيف خالص.

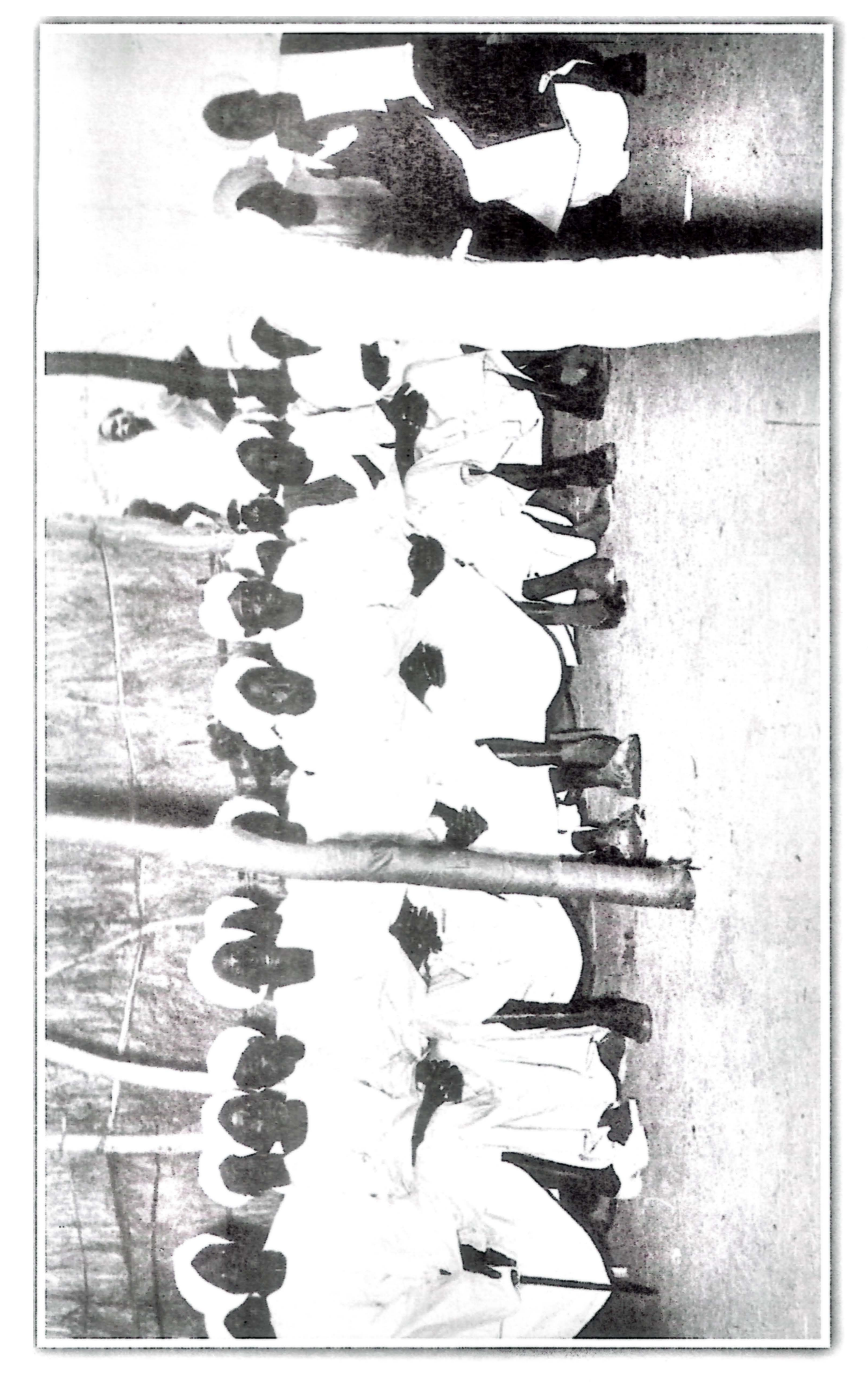
فرانسيس دينق: إن شاء الله ما في كتير منه حينشال، لكن برضه كلامك في محله...

طيب شكراً.

■■■



شيوخ وعمد المسيرية والدينكا، ويظهر الناظر سرير الحاج أجبر - ناظر فرع الفلايتة من المسيرية الحُمُر - وعلى شماله العُمدة أبو القاسم موسى عُمدة العجايرة من المسيرية الحُمُر والجلوس عُمد ومشايخ دينكا نقوك.



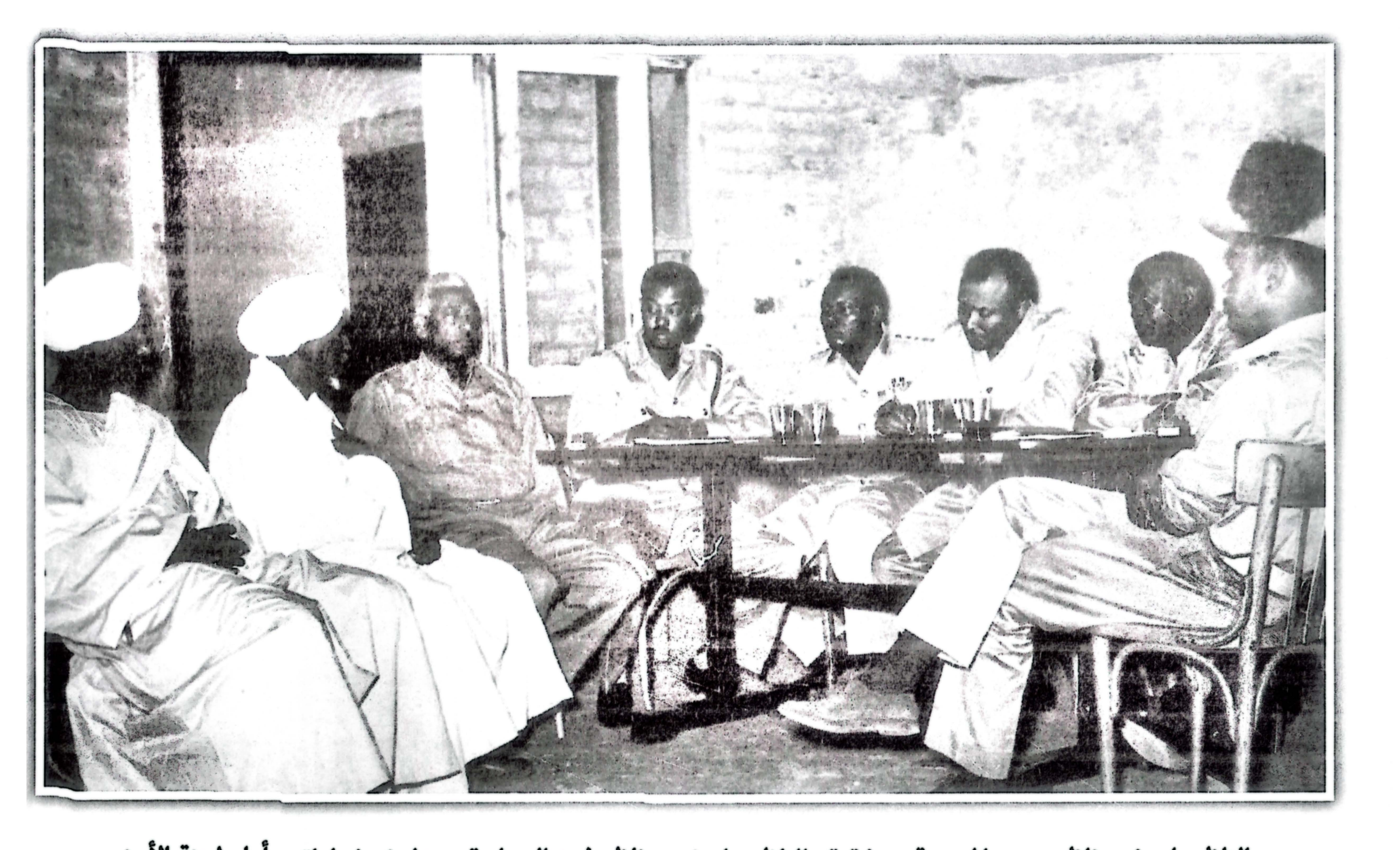
قيادات وعُمد ومشايخ دينكا نقوك.



عُمد المسيرية العجايرة ، أقصى اليسار العُمدة أبو القاسم موسى عُمدة العيارين
وأقصى يمين الصورة العُمدة حمّاد عبد الجليل عُمدة أولاد كامل.



أحد عُمد دينكا نقوك يؤدّي القسم على الحربة المقدّسة.



الناظر بابو نمر -ناظر عموم المسيرية - وشقيقه الناظر علي نمر – ناظر فرع العجايرة – يدلون بشهاداتهم أمام لجنة الأمن في مؤتمر الصلح بين المسيرية ودينكا نقوك.

